الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

الموضوع:

البنية السّردية (الزّمن، المكان، الشّخصيات) في رواية " ابن القرية" لولد الصدّيق ميلود

إعداد الطّالبتين:

أسماء شلّالي

فايزة قنينش

إشراف الأستاذ:

د. محمّد شيراني

لجنة المناقشة		
أ.د.	محمّد موسوني	رئيسا
د.	شهيناز يسمة بن زرقة	ممتحنا
د.	محمّد شيراني	مشرفا مقرّرا

العام الجامعي :1441هـ-1442هـ/ 2020م-2021م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾

سورة الزُّمر، الآية 09.

إهداء

أهدي جني ثماري وقطوف تعبي...

إلى من أرضعتني الحبّ والحنان... إلى بلسم الشّفاء، إلى القلب الكبير "أمّي".

إلى من مهّد لي طريق العلم... "أبي" العزيز.

إلى رمز الحبّ إخوتي: عبد الرّحمن، فاطمة، عائشة، إكرام، آية، مريم، محمّد...

إلى صديقاتي: فايزة، سميحة، مريم، باتول، أمينة، وإلى كلّ من عرفتهم طوال مشواري الدّراسي.

إلى الأستاذ المشرف الدّكتور "محمّد شيراني" الذي لن أنسى فضله عليّ، جزاه الله كلّ خير.

إلى كلّ من ساهم في نجاحي من قريب أو من بعيد، حفظكم الله ورعاكم... وأجمع الحبّ والوفاء لربّ السّماء.

أسماء.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى ملكتي العظيمة التي غمرتني بحنانها وعطفها، إلى قرّة عيني "أمّي" التي أنارت دروب حياتي.

إلى قدوتي الأولى الذي نسج لي طريق النّجاح وعلّمني الصّمود أمام المصاعب، إلى من رفعت رأسي به افتخارا "أبي" العزيز.

إلى من كانوا سندا لي وعونا في حياتي إخوتي: عبد القادر، هشام، سهام، مليكة، زهيرة، بهية.

إلى من كانوا رفقاء دربي: فايزة، أسماء، خير الدّين.

إلى كلّ من يسعهم قلبي ولا يسعهم قلمي، إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل.

فايزة.

شكر وتقدير

الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه...

اللّهم لك الحمد ولك الشّكر، وإليك يرجع الفضل كلّه سرّه وعلانيته...

الحمد للّه الواحد المنّان الرّحمن، الذي وفّقنا لإتمام هذا العمل.

نتقدّم بالشّكر الجزيل مع فائق الاحترام والتّقدير

إلى الأستاذ المشرف، الدّكتور "محمّد شيراني" الذي أفادنا بنصائحه وإرشاداته الوجيهة من بداية هذا العمل إلى نهايته، فكان خير سند لنا في هذه المرحلة المهمّة في مشوارنا الدّراسي... جزاك اللّه كلّ خير وجعلها في ميزان حسناتك... لك منّا كلّ الحبّ والاحترام.

إلى أعضاء اللّجنة المناقشة الموقّرة لقبولهم مناقشة هذه المذكّرة، جزاكم اللّه كلّ خير.

إلى كلّ أساتذتي وكلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل.

مقدّمة

حصلت الرّواية الجزائرية على مكانة مرموقة في الأدب العربي والعالمي، وحملت بين صفحاتها قضايا متشعّبة، نقلت للعالم صوت الأديب وآلامه، وآلام شعبه وقومه، ولعلّ ما زاد في شهرتها هو نشأتها على أيدي روائيين كبار أمثال: "عبد الحميد بن هدوقة"، "واسيني الأعرج"، "رشيد بوجدرة" وغيرهم.

واكبت الرّواية الجزائرية التّطوّر الأدبي، واستطاعت فرض وجودها في السّاحة الأدبية، فاستقبلت الأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي بصدر رحب، وارتبطت بمواضيعها المختلفة، وبالتّحوّلات التي تطرأ عليها، فكان للرّوائي الجزائري لمسته الخاصّة التي تميّز بها عن غيره.

تدور أحداث رواية "ابن القرية" لولد الصدّيق ميلود، حول شخصية (عثمان)، الشّخصية المحورية في الرّواية، وعن المكان الذي ولد وترعرع فيه، فكانت هذه الشّخصية مثالا عن الفتى المثقّف المتخلّق، الملتزم بتعاليم دينه، والمرتبط بعاداته وتقاليده التي نشأ عليها، والتي ساعدته في التّغلّب على مصاعب الحياة.

وقد اخترت أنا وزميلتي هذه الرّواية من أجل الدّراسة لأنّها جديدة، وتحمل في طيّاتها الكثير من الرّمزية، زد على ذلك الارتباط النّفسي الذي جمعني بها في ظلّ الظّروف الصّعبة التي مررنا بها مؤخّرا، فكانت خير أنيس لي.

وارتأينا أن يكون بحثنا موسوما بـ: "البنية السّردية (الزّمن، المكان، الشّخصيات) في رواية ابن القرية لولد الصدّيق ميلود"، وحاولنا من خلاله الإجابة على التّساؤلات التّالية:

- كيف وظّف "ولد الصدّيق ميلود" الزّمن في هذه الرّواية؟
- ما هي أنواع الأماكن التي استعملها؟ وأين تكمن أهميتها ووظائفها؟
- كيف صنّفت الشّخصيات في الرّواية ؟ وكيف ساهمت في تطوّر الأحداث؟

اعتمدنا في الإجابة عن هذه التّساؤلات على خطّة البحث التّالية: مدخل، وثلاثة فصول وخاتمة؛ حيث تطرّقنا في المدخل إلى مفهوم البنية السّردية لغة واصطلاحا، وإلى أهمّ تيارين برزا فيها، وفي الفصل الأوّل تناولنا بنية الزّمن في رواية "ابن القرية"، قسّمناه إلى مبحثين، المبحث الأوّل عنونّاه بالمفارقات الزّمنية، والمبحث الثّاني تحث عنوان الدّيمومة، أمّا الفصل الثّاني، درسنا فيه بنية المكان في رواية "ابن القرية"، وقسّمناه إلى مبحثين، تطرّقنا في المبحث الأوّل إلى ماهية المكان وأهميته، وفي المبحث الثّاني إلى تنوّع الأمكنة ووظائفها، ثمّ انتقلنا إلى الفصل الثّالث الذي خصّصناه لدراسة بنية الشّخصية في مبحثين، الأوّل صنّفنا فيه الشّخصيات، والثّاني قدّمنا من خلاله الشّخوص الموجودة في الرّواية.

وقد جمعنا في بحثنا بين الجانبين النّظري والتّطبيقي حتّى تتّضح الصّورة للقارئ، معتمدين على المنهج التّحليلي الذي يهدف إلى الكشف عن العلاقات المتشابكة في الرّواية وتحليلها، والوصول إلى الحقيقة التي تختفي وراء هذا العمل الأدبي.

كما استعنّا في هذه الدّراسة على مصادر ومراجع، أهمّها رواية "ابن القرية" لولد الصدّيق ميلود، وهي موضوع دراستنا، وبعض المراجع نذكر منها: "بنية النصّ السّردي" لحميد لحمداني، و "خطاب الحكاية " لجيرار جنيت، و "جماليات الزّمان والمكان" لربيب كتيبة.

وقد واجهنا خلال إنجازنا لهذا البحث بعض الصّعوبات والعراقيل، المتمثّلة في بعد المسافة بيني وبين زميلتي، وكذلك تأثير الأزمة الوبائية التي نمرّ بها، ما تسبّب في قلقنا وخوفنا.

وفي الأخير نشكر الله عزّ وجلّ الذي منحنا القوّة والإرادة لإنجاز هذا العمل، ونحمده على توفيقه لنا، ثمّ نتقدّم بالشّكر للأستاذ المشرف الدّكتور "مُحَمَّد شيراني" على صبره معنا ونصائحه القيّمة، فجزاه الله كلّ خير وجعلها في ميزان حسناته، والحمد لله ربّ العالمين.

الطّالبتين: أسماء شلّالي، فايزة قنينش.

تلمسان يوم: 09 جوان 2021م.

مدخل:

مفهوم البنية السّردية

1/ السّرد لغة:

يحيل لفظ السّرد في اللّغة العربيّة على معان كثيرة، فلقد ورد في "القاموس المحيط" أنّ مادّة (س، ر، د) تعني السَّرْدُ: الخَرْزُ في الأَديمِ، كالسِّرادِ، بالكسر، والثَّقْبُ، كالتَّسْريدِ فيهما، ونَسْجُ الدِّرْعِ، واسْمٌ جامِعٌ للدُّروعِ وسائِرِ الحَلَقِ، وجَوْدَةُ سِياقِ الحَديثِ، ومُتابَعَةُ الصَّوْمِ، والسَّرَنْدَى، كسَبَنْتَى: السَّريعُ في أُمُورِهِ، والشّديدُ.[1]

ونقول: "سَرَدَ سردًا وسرادًا: الحديث أجاد سياقه، الكتاب قرأه بسرعة، الدّرع نسجها، الوقائع عدَّدها، الجلد خَرَزَهُ، الشّيء ثقبهُ، الصّوم تَابَعَهُ".[2]

وورد ذكر السّرد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ ﴾*.

ومن هذين التّعريفين اللّغويين لمفهوم السّرد، نستطيع القول أنّ معانيه تعدّدت، فيحيل المعنى المعجمي على الاتّساق المترابط لكتلة واحدة، ومن أبرز هده المعاني نجد: التّتابع والتّسلسل والموالاة، وهذا ما أشارت إليه الدّراسات السّيميائية والسّردية الحديثة، التي اعتبرت السّرد نسجا محكما من العناصر المكوّنة له وهي: الشّخصيات والزّمان والمكان... وفيها تتابع الأحداث تتابعا سببيّا.

2/ السّرد اصطلاحا:

عاينت بحوث كثيرة السّرد وفق رؤى شاملة ومتشعّبة، إذ "يعدّ السّرد فرعا من فروع الشّعرية المعنيّة باستنباط القوانين الدّاخليّة للأجناس الأدبيّة، والنّظم التي تحكمها والقواعد التي توجّه أبنيتها

*- سورة سبأ، الآية 11.

[1]- ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1429هـ/2008م، مادّة (س).

[2]- مرشد الطلّاب عربي عربي، دار ابن رشد، د ط، 2005م، مادّة (س).

وتحدّد خصائصها وسماتها"[1]، فيرى الشّكلانيون الرّوس أنّ السّرد هو وسيلة لتوصيل قصّة ما إلى مستمع أو قارئ، وذلك بقيام وسيط بين الشّخصيات والمتلقّي، ألا وهو الرّاوي.

يلاحظ من خلال تعاريف السّرد أنّه يوجد تقارب واضح فيها من حيث دلالتها ومعانيها؛ حيث أنّ السّرد يقوم على أساس واحد، وهو رغبة الملقي في إيصال فكرته للمتلقّي أو المستمع، فهو –السّرد– من أبرز عناصر الرّواية، ومن أهمّ الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في نقل الأحداث والوقائع، لا يقتصر على نوع من الأنواع الأدبيّة دون غيرها، بل هو موجود في القصّة والأسطورة والرّواية والتّراجيديا والمسرحيّات وغيرها من الأجناس الأدبيّة، حتّى في كلامنا العادي مع النّاس، ورسائلنا، يوجد سرد للأحداث، هذا ما يمكننا القول أنّه لا يكاد يخلو أيّ مكتوب من السّرد، مهما كان جنسه.

والسّرد بمعناه هذا هو ملازم للحكي (Récit) لأنّ كلّ حكي يقوم على دعامتين أساسيتين:

- **أوّلهما**: أن يحتوي على قصّة ما، تضمّ أحداثا معيّنة.
- **ثانيتها**: أن يعين الطّريقة التي تحكي بها تلك القصّة، وتسمّى هذه الطّريقة سردا، ذلك أنّ قصّة واحدة يمكن أن تُحكى بطرق متعدّدة، ولهذا السّبب فإنّ السّرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسيّ.[2]

فالسّرد هو الكيفية التي تروى بها القصّة عن طريق الرّاوي إلى المروي له، وما تخضع له من مؤثّرات، بعضها متعلّق بالملقي والمتلقّي، والبعض الآخر متعلّق بالقصّة ذاتها.

فالمفهوم الاصطلاحي للسّرد يعني: "إعادة تشكيل الواقعة، سواء أكانت حقيقية أم متخيّلة من خلال مكوّنات اللّغة المنطوقة أو المقروءة أو المكتوبة في عمليّة صياغة وعرض وإعادة إنتاج، وفق نظام

[1]– ميساء سليمان الإبراهيم، البنية السّردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة العامّة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، مكتبة الأسد، د ط، 2011م، ص 12.

[2]– حميد لحمداني، بنية النصّ السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط 04، 2015م، ص 45.

يحدّده السّارد، مشكّلا الحبكة التي تمتلك نظامها الخاصّ في إظهار الحدث وكيفية بنائه وتشكيل موادّه الأوّلية ضمن نظام زمنيّ جديد، وتضمين النصّ، الرّؤى والمضامين والدّلالات والغايات، باستخدام سلسلة من التّقنيات القادرة على توزيع الوظائف، بما ينسجم مع كلّ مستوى يقوم عليه النصّ".[1]

فالسّرد يعيد بناء الحدث الواقع، بغضّ النّظر عمّا إذا كان هذا الحدث قد وقع حقيقة، أم هو مجرّد خيال في عقل السّارد، وكلّ ما يهمّ هو طريقة إيصاله لهذا الحدث الذي يتضمّن فكرة إلى المتلقّي، حتّى يتجاوب معه، وذلك من خلال الاعتماد على المؤثّرات السّردية، ومن أهمّها الحبكة أو العقدة، والتي تعتبر محور السّرد ومركزه، بالإضافة إلى نظام بنائه من حيث الشّخصيات المذكورة، والزّمن الذي وقع فيه الحدث، والمكان الذي ضمّه، كلّ هذا عبارة عن سلسلة من التّقنيات التي يتعمّدها الرّاوي في سرد قصّته أو روايته؛ حيث أنّ كلّ حدث ترويه حكاية هو على مستوى قصصي أعلى، مباشرة من المستوى الذي يقع عليه الفعل السّردي المنتج لهذه الحكاية.[2]

إنّ مصطلح السّرديّة (Narratology) مصطلحا حديثا نسبيّا؛ حيث دخل دائرة الاستخدام في فرنسا تحت تأثير البنيوية، ويعدّ "تزفيتان تودورف" هو من ابتكر هذا المصطلح عام 1959م، بعد أن شكّله من كلمة (Narrative Logy)، أي سرد وعلم ليحصل على مصطلح علم السّرد أو السّردية، على أنّه العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السّردي أسلوبا وبناء ودلالة، ويحيل السّرد بوصفه المادّة الأوّلية لهذا العلم على أنّه نظام لغويّ، يحمل حادثة أو سلسلة من الحوادث على سبيل التّخييل، وهو فنّ تنظيم هذه المحمولات بوصفها شكلا فنيّا منتظما بعلاقات وقواعد وأبنية داخلية تنظّم عمل السّرد.

[1]- ميساء سليمان الإبراهيم، م. س، ص 12.

[2]- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تح: محمّد معتصم، المجلس الأعلى للثّقافة، المشروع القومي للتّرجمة، ط 02، 1997م، ص 240.

وتعنى السّردية باستنباط القواعد الدّاخلية للأجناس الأدبيّة، واستخراج النّظم التي تحكمها وتوجّه أبنيتها، وتحدّد خصائصها وسماتها، ووصفت بأنّها نظام نظريّ غُذِّي بالبحث التّجريبي.

وتبحث السّردية في مكوّنات البنية السّردية للخطاب من راو ومرويّ، ومرويّ له، ولما كانت بنية الخطاب السّردي نسيجا قوامه تفاعل تلك المكوّنات، أمكن التّأكيد أنّ السّردية هي المبحث النّقدي الذي يعنى بمظاهر الخطاب السّردي أسلوبا وبناء ودلالة.

والعناية الكلية بأوجه الخطاب السّردي أفضت إلى بروز تيّارين رئيسين في السّردية هما:

- **السّردية الدّلالية:** التي تعنى بمضمون الأفعال السّردية، دونما اهتمام بالسّرد الذي يكوّنها، وإنّما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثّل هذا التيّار: "يروب"، و "بريمون"، و "غريماس".
- **السّردية اللّسانية:** التي تعنى بالمظاهر اللّغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من روّاة، وأساليب سرد ورؤى، وعلاقات تربط الرّاوي بالمرويّ له، ويمثّل هذا التيّار عدد من الباحثين من بينهم: "بارت"، و "تودوروف"، و "جنيت".[1]

تبعا لهذه التّعريفات والدّراسات، نقول أنّ السّرد هو المنهج الذي يتبعه الرّاوي في تقديم قصّته، وهو الطّريقة التي يعتمد عليها النّاس والأفراد فيما بينهم، بهدف إيصال فكرة أو رسالة من شخص إلى آخر، كما أنّه من أبرز عناصر الكتابة الرّوائية، لنقله الأحداث التي تجري في الرّواية، إذ يتبع حركة الشّخصيات وينقل أفعالها المختلفة.

[1]- في مفهوم السّردية ومكوّناتها –ملحق خليجي ثقافي-، صحيفة الخليج، 20 مايو 2012م، بتصرّف. https://www.alkhaleej.ae

ومن كلّ هذا، وباعتبار أنّ السّرد هو الطّرف الأوّل في ثنائية (السّرد – الحكاية) يمكن أن نقول: أنّه هو "الطّريقة التي يختارها الرّوائيّ أو القاصّ أو حتّى المبدع الشّعبيّ (الحاكي) ليقدّم بها الحدث إلى المتلقّي، فكأنّ السّرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي.[1]

[1]– آمنة يوسف، تقنيات السّرد في النّظرية والتّطبيق، دار فارس للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط 02، 2015م، ص 38.

الفصل الأوّل:

بنية الزّمن في رواية "ابن القرية"

تمهيد:

يعدّ الزّمن من أهمّ العناصر الأساسية في بناء الرّواية، فلا يمكن أن تتصوّر حدثا روائيّا خارج الزّمن، فهو عنصر مهمّ في الدّراسات النّقدية الحديثة، ومنه تنطلق أبرز التّقنيات السّردية المتعدّدة، ولذلك فإنّ مفهوم الزّمن لم يكن بالشّيء الهيّن لدى الفكر الإنساني، إذ تباينت المواقف العلمية حوله في مختلف الميادين، فعرف على أنّه الزّمن والزّمان اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع: أزمن، وأزمان، وأزمنة، وأزمن الشّيء: طال عليه الزّمان، وأزمن بالمكان: أقام به زمنا، أمّا في المعجم الفلسفي: فهو وسيط متجانس غير محدود، تمرّ فيه الأحداث المتلاحقة، والمدّة جزء منه، وقد يطلق على مدّة معيّنة.[1]

ويمثّل الزّمن أحد أهمّ عناصر التّجربة الإنسانية، فهو "يعكس ملامح العصر ويعبّر عن موقف، كما يقرّر به حالة، أو يصوّر فيه ما يجري من أحداث، داخل حدود بيئة معيّنة، أو مكان ما"[2]، فهو يسير بخطّ متواز مع حياة الإنسان، والتّجارب التي يقوم بها، ويميّز كلّ عنصر عن غيره، لما يجري فيه من وقائع يضمّها مكان ما فتخلد ويحفظها التّاريخ.

ومن هنا تأتي أهميته كعنصر بنائيّ؛ حيث أنّه يؤثّر في العناصر الأخرى وينعكس عليها، فالزّمن حقيقة مجرّدة لا تظهر إلّا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، فالزّمن هو الذي يشكّل الإيقاع في الرّواية.

المبحث الأوّل: المفارقات الزّمنية

يعرّفها "جيرار جنيت" بقوله: "تعني دراسة التّرتيب الزّمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزّمنية في الخطاب السّردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزّمنية نفسها

[1]- ربيب كتيبة، جماليات الزّمان والمكان في شعر عزّ الدّين مناصرة، الخليل للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط 01، 2015م، ص 123.

[2]- حيدر لازم مطلك، الزّمان والمكان في شعر أبي الطيّب المتنبّي، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط 01، 1431هـ/2010م، ص 23.

في القصّة "[1]، وذلك لأنّ نظام القصّة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من قرينة مباشرة أو غير مباشرة، فالتّنافر الذي يحدث بين النّظام الزّمني للأحداث، ونظام ورودها في الخطاب، كأن يبدأ في السّرد من الوسط مثلا، ثمّ العودة من جديد إلى أحداث سابقة يمثّل مفارقة زمنية، وإنّ مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو المستقبل، وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة "الحاضر"، أي عن لحظة القصّة التي يتوقّف فيها السّرد من أجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة".[2]

ومن هنا يرى بعض نقّاد الرّواية البنائيين أنّه عندما لا يتطابق نظام السّرد مع نظام القصّة، فإنّنا نقول أنّ الرّاوي يولّد مفارقة أو مفارقات سردية "Anachornies narrative".[3]

فليس من الضّروري أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، مع ترتيب أحداثها، فقد نجد أنّ الرّواية تبدأ بآخر حدث لها، ثمّ تعود إلى بداية الرّواية، وتخبرنا بالتّفاصيل، ثمّ ترجع إلى النّهاية مجدّدا، لتسرد لنا أو تخبرنا بهذه النّهاية كيف تكون، لأنّ الرّاوي لا يستطيع أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد.

وهكذا يمكننا أن نميّز بين زمنين في كلّ رواية هما:

- زمن السّرد.
- زمن القصّة.

ويحدث ما يسمّى بالمفارقة الزّمنية، والتي ميّز "جيرار جنيت" بين نوعين منها، هما:

- الاسترجاع.
- الاستباق.

[1]- جيرار جنيت، م. س، ص 47.

[2]- حميد لحمداني، م. س، ص 75.

[3]- المرجع نفسه، ص 74.

المطلب الأوّل: السّرد الاستذكاري

تقنية زمانية، ذات وظائف بنيوية متعدّدة، تخدم السّرد وتسهم في تطوّر أحداثه، يأخذ تسميات عدّة من بينها: الاسترجاع والتّذكّر...، يعرّفه "جيرار جنيت" بقوله: "ندلّ بمصطلح استرجاع على كلّ ذكر لاحق لحدث سابق للنّقطة التي نحن فيها من القصّة".[1]

فالاسترجاع أو كما يطلق عليه "الفلاش باك" (flash back)، مصطلح روائيّ حديث، يعني الرّجوع بالذّاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب، وقد سيق هذا المصطلح من معجم المخرجين السّينمائيين؛ حيث بعد إتمام تصوير المشاهد، يقع تركيب المصوّرات، فيمارس عليها التّقديم والتّأخير، دون أن يكون بعض ذلك نشازا، طالما يظلّ الإطار الفنّي لعرض القصّة محترما.[2]

اختلفت مستويات الاسترجاع إلى الوراء من الماضي البعيد إلى الماضي القريب، فنشأت أنواع مختلفة عن هذه المفارقة الزّمنية السّردية؛ حيث يوجد:

- "**الاسترجاع الخارجي**: الذي يقع قبل بداية الرّواية.
- **الاسترجاع الدّاخلي**: الذي يقع في ماض لاحق لبداية الرّواية.
- **الاسترجاع المزجي**: الذي يمزج بين النّوعين السّابقين".[3]

فهذه التّقنية السّردية تعمل على تذكّر واسترجاع السّارد لأحداث سابقة، أو صفات لأشخاص سلف، فيعود بالقارئ أو المتلقّي إلى الماضي لإثارة الحاضر، وذلك من خلال العودة إلى الوراء.

يتشكّل الزّمن الاسترجاعي بوضوح في رواية "ابن القرية"، وفيما يلي بعض الاستذكارات قريبة المدى؛ حيث نجد استذكارا لـ: (عثمان) بطل الرّواية، وذلك حين بدأ بتذكّر معلّميه، فقال: "لم تكن المعلّمة (فاطمة) مجرّد مدرّسة، بل كانت مربّية سامقة، قدوة في الأخلاق العالية، فهي بذاتها مدرسة

[1]- جيرار جنيت، م. س، ص 51.

[2]- آمنة يوسف، م. س، ص 103.

[3]- المرجع نفسه، ص 104.

وعنوان عريض، يحمل تفاصيل لا متناهية في طريقة التّدريس والمذاكرة والتّأديب والتّعليم والتّربية...، وأستاذ الثّانوية الأوّل لم يكن مثل البقيّة، كان يبدو مستواه عال، وحديثه راق، لم نكن نفهم كلماته وأسلوبه...، يستعمل عبارات ويستشهد بكتب تبدو أكبر في معارفها من سنّنا ومستوانا... اللّامتناهي، لم تكن سوى سلسلة مقالات ورقية راقية متميّزة، كان يكتبها كلّ ليلة ليقرأها على مسامعنا صبيحة كلّ أحد وخميس، قبيل تمام الدّرس بقليل، كنّا ننتظرها بشغف كبير، لنسمع جديده...، لنقف على تفاصيل رائعة من حياته المعقّدة.

أمّا الثّاني فكان صاحب ابتسامة دائمة ووجه ينير وسعادة أبديّة، مجالسته تعدي بفيروسات الحيويّة والنّشاط والإبداع...،كنّا نلتقيه في اليوم الواحد مرّتين، كان شيخ المدرسة نموذجا سابقا لا يتكرّر...، لم يكن مجرّد صاحب مدرسة لمحو الأميّة، بل كان صيدليّة تمنح الأدوية لكلّ مريديها".[1]

لقد جاء هذا الاستذكار بمناسبة نجاح (عثمان) في شهادة البكالوريا، وانتقاله إلى مرحلة جديدة في حياته وهي الجامعة؛ حيث سيتعرّف هناك على أناس جدد وأساتذة جدد، فما له إلّا أن يسترجع ذكرياته في الثّانوية، ومع أساتذته الذين كانوا دافعه الأساس للنّجاح والتّفوّق، فكيف له أن ينسى مرحلة من حياته كان فيها متألّقا.

فالذّاكرة النّفسية تحتفظ بذكريات الماضي دفعة واحدة، بصورة مستقلّة عن الدّماغ ودون انتقاء أو فرز لذلك نقول أنّ: "الماضي قد انتهى زمنيّا في حركته ولن يعود، ولكن أثره يظلّ ماثلا ومؤثّرا في لحظة الحضور، إنّ الإنسان يستحضر الماضي بواسطة الذّاكرة في الحاضر، وهو يرسم بالفعل بواسطة التّوقّع للمستقبل".[2]

[1]- ولد الصدّيق ميلود، رواية "ابن القرية"، دار المثقّف، ط 02، 2018م، ص 45.

[2]- ربيب كتيبة، م. س، ص 133.

كما تحضر في الرّواية استرجاعات بعيدة المدى، ولنا في ذلك استذكار لأهل القرية "فالنّاس لا زالوا مرتعدين من نكبة العام الماضي والفيضانات التي أسقطت كثيرا من دُورِها وشرّدت عائلات بأكملها".[1]

وفيما يلي استذكار آخر متعلّق بأهل القرية وتقاليدها وعرْفها، فيقول السّارد: "فمنذ عشرات السّنين حطّ الأجداد هذا العرف وجعلوه ساريا بين الأجيال تكريما واحتفاء وغبطة بكلّ من يصل لهذا المقام"[2]، ويقصد هنا المقام الذي وصل إليه (عثمان) بطل الرّواية، وهو مقام عال ومشرّف، حصل عليه ووصل إليه بحفظه للقرآن الكريم كاملا، وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره، ما جعله مفخرة لأهله وأصحاب قريته.

ونجد الاسترجاع أيضا في قول (عثمان): "استحضرت كلّ الذّكريات والأوقات وحتّى الآهات والحركات، شعرت وكأنّ الطّريق طويل وشاقّ... وقفت على قبرها مستحضرا صورتها وابتسامتها الزّكية الطّاهرة".[3]

ف (عثمان) يسترجع ذكرياته مع أمّه وكلّ أوقاته معها بحلوها ومرّها، بعد تلقّيه خبر وفاتها وهو بعيد عنها، فاستحضر صورتها في مشهد مليء بالحزن.

فمظاهر السّرد الاستذكاري تنجلي في مدى الاستذكار، أو في الزّمن الذي يستغرقه هذا الاستذكار، فالرّاوي هنا لا يصف، بل يورد وقائع ويسرد لنا أحداثا آلمته وحرّكت مكامنه، لذلك فهذا الموقف الشّعوري لا يقبل إلّا التّدفّق، ويرفض الوقفات الطّويلة لوصف الأمكنة والشّخصيات الرّوائية،

[1]- الرّواية، ص 56.

[2]- الرّواية، ص 31.

[3]- الرّواية، ص 136-137.

وعندما يصف يكون الوصف مسرودا، ويفترض الوصف المسرود والسّرد المتدفّق تورّط الذّات في الموضوع، بل الذّات جوهر في هذا النّمط من الحكي".[1]

فالسّارد هنا يوقف زمن السّرد أو القصّة الطّبيعي، ويرجعنا إلى زمن ماض، ليحكي لنا عن أشخاص، أو عن مواقف حدثت معه وتركت أثرا في نفسه، فيتذكّرها بألم أو بفرح، وذلك حسب طبيعة الحدث المسترجع.

المطلب الثّاني: السّرد الاستشرافي

الاستباق أو الاستشراف، هو الحدث قبل وقوعه، وهو الطّرف الثّاني في تقنية المفارقة الزّمنية: الاسترجاع/الاستباق، وهو يعني من حيث مفهومه الفنّي: "تقديم الأحداث اللّاحقة والمتحقّقة –حتما– في امتداد بنية السّرد الرّوائيّ على العكس من المتوقّع الذي قد يتحقّق، وقد لا يتحقّق"[2]، فمصطلح الاستباق يدلّ على كلّ حركة سردية، تقوم على رواية حدث لاحق أو ذكره مقدّما.

فالسّرد الاستشرافي يعدّ شكلا ثانيا لمستوى النّظام الزّمني، فهو يعني التّوقّع المستقبلي، وهو الاستباق والتّطلّع إلى الأمام، أو الإعلان القبْلي المسبق عن الأحداث، يروي فيه السّارد مقطعا من الحكاية، يتضمّن أحداثا لها مؤشّرات مستقبليّة متوقّعة، فيقفز السّارد إلى المستقبل ليروي لنا أحداثا لم تقع بعد، لكنّه تنبّأ بحصولها ووقوعها، فيوقف الرّاوي زمن الرّواية الحاضر، ويروي لنا مقطعا يطْلعنا فيه على ما سيحصل في المستقبل.

فالاستباق "مقطع سرديّ يسرد أحداثا سابقة لأوانها، أو يتوقّع حدوثها، يمثّل عكس الاسترجاع، ويسمّى القفزة إلى الأمام كذلك.[3]

[1]– محمّد معتصم، بنية السّرد العربي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرّباط، ط 01، 2010م، ص 45.

[2]– آمنة يوسف، م. س، ص 119.

[3]– الجيلالي العرابي، البنية السّردية قراءة في 12 قصّة مهاجرة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 01، 2016م، ص 31.

تناسب هذه التّقنية الزّمنية "الرّاوي العليم ذا النّظرة المجاورة التي تهيمن على ماضي الحدث ومستقبله، وتبدأ في تحريك هذه العناصر بحسب مقتضياتها، فيجذب اهتمام المتلقّي والاستحواذ على إعجابه، فضلا على استثارة ذكائه"[1]، إذ أنّ الإمكانيات التي يتيحها التّلاعب بالنّظام الزّمني لا حدود لها، وذلك لأنّ الرّاوي قد يبتدئ السّرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن الحصّة، ولكنّه يقطع بعد ذلك السّرد، ليعود إلى أحداث تأتي سابقة في ترتيب زمن السّرد عن مكانها الطّبيعي في القصّة"[2]، فإذا كانت الوقائع في زمن القصّة على التّرتيب التّالي:

أ ← ب ← ج

فإنّ زمن السّرد يأتي على الشّكل التّالي:

أ ← ج ← ب

وهذا ما يعبّر عن القفزة نحو الأمام وإلى المستقبل، وتوقيف زمن السّرد والذّهاب إلى الوقائع السّابقة له، ثمّ العودة إلى زمن السّرد، "أمّا المستقبل فيرتبط بمعاني الأماني والرّجاء، فلابدّ أن يشعرنا بما فينا من تناه وفناء، لأنّه كالماضي هو الآخر حدّ أمامنا، فالمستقبل يجرّنا جرّا، ويدفعنا إلى الأمام دفعا، بفعل ما للرّغبة من قوّة سحرية".[3]

ومن الأمثلة على الاستباق في الرّواية، نجد تكهّنات السّارد حول الاحتفالية التي ستقام، فيقول: "بعد قليل سيجتمع النّاس هنا، ستبدأ الاحتفالية، وسيتقدّم الحشد الرّاقص البارود بلباسهم وعباءاتهم البيضاء... سيفرحون وسيطلقون البارود".[4]

[1]- ميساء سليمان الإبراهيم، م. س، ص 230.

[2]- حميد لحمداني، م. س، 74.

[3]- ربيب كتيبة، م. س، ص 146.

[4]- الرّواية، ص 13.

ويواصل القول: "هناك ستلتقي كلّ الرّايات أو بالأحرى جميع القبائل يقرؤون السّلكة، ثمّ يختمونها صبيحة يوم الغد، ثمّ يفترقون"[1]، فالسّارد هنا استبق الأحداث، وأخبرنا بأحداث ستحصل قبل وقوعها، حتّى أنّه وصف لنا النّاس وهيئاتهم، وذلك لأنّه متعوّد على هذه الاحتفالات، فتنبّأ بما سيحصل فيها قبل وقوعها وقبل مجيء المعازيم والأشخاص الذين سيحيون وينشّطون الحفل.

وفي موضع آخر من الرّواية، يرد نوع من الاستباق، وفي هذا يتمّ الإعلان من خلاله صراحة عن الأحداث التي سيؤول إليها السّرد، فيقول الرّاوي: "ها هو ذا على مشارف استكمال سورة البقرة، وهو دون الخامسة عشر ربيعا، ما يعني أنّ العدّ التّنازلي لحفلة ختم القرآن قد قربت"[2]، فالسّارد هنا أعلن بصراحة ومباشرة أنّه في المستقبل القريب سيختم (عثمان) القرآن الكريم، وسيقام حفل لتكريمه، فاستبق الأحداث وأخبرنا بها قبل وقوعها.

وفي المثال الآتي استباق لحدث آخر معلن عنه، وهو نجاح (عثمان) في الثّانوية، والتحاقه بالجامعة، فالسّارد قفز نحو الأمام إلى المستقبل، وتكهّن بالحياة الجامعية الجديدة لـ (عثمان)، الحافلة بالنّجاح والتي هي بانتظاره، فيقول: "ما يعني أنّ بإمكانه التّسجيل في أرقى الجامعات واختيار أفضل التّخصّصات، سيكون ذا شأن لا محالة... ستطأ رجلاه أرضا بعيدة وسيشمّ هواء غير هواء قريته الصّغيرة، سيكون طبيبا ربّما، أو حتّى مهندسا أو عالما"[3]، فالسّارد هنا أخبرنا عن مستقبل (عثمان) مسبقا، وبالفعل حدث ما قال، وحصد ما زرع، من خلال تعبه ودراسته واجتهاده وعزيمته، فهو مثال للفتى القويّ الشّجاع، الذي لم تحبطه ظروفه القاسية والعقبات المعرقلة.

بعد هذه الدّراسة، فإنّ مفهومي "الاستعادة والاستشراف" ذاتهما، اللّذين يؤسّسان مقولتي الاسترجاع والاستباق السّرديتين على "علم النّفس" يفترضان وعيا زمنيّا واضحا تمام الوضوح، وعلاقات بين الحاضر والماضي والمستقبل لا لبس فيها... إنّ تواتر الإقحامات وتشابكها المتبادل

[1]- الرّواية، ص 14.

[2]- الرّواية، ص 25.

[3]- الرّواية، ص 44.

بالذّات، يشوّشان الأمور عادة بكيفية تظلّ أحيانا بلا حلّ في نظر القارئ البسيط، بل في نظر المحلّل الأكثر عزما أيضا".[1]

المبحث الثّاني: الدّيمومة

الدّيمومة هي الزّمان، فإذا أطلقت على الزّمان المحدود، سمّيت مدّة، وإذا أطلقت على الزّمان الطّويل، سميّت دهرا، والدّيمومة أو الاستغراق الزّمني، ترجمة لمعنى كلمة "durée" (بالفرنسية)، "duration" (بالإنجليزية).

وقد نشأ عن الدّيمومة ما يسمّى بحركات السّرد أو تقنياته الأربعة التي تختصّ بتسريع حركات السّرد أو تبطئته، هذه الحركات السّردية الأربعة هي: أطراف تحقّق تساوي الزّمن بين الحكاية والقصّة، فالإيقاع الذي هو انتظام وتناسب في العلاقة، يكتسب في مفهوم الزّمن صفة تقنية حكائية، توازي بين زمن الحكاية، وزمن القصّة، وتمكّن من قياس المدّة الزّمنية التي تعني سرعة القصّ، وتحدّد بالنّظر في العلاقة بين مدّة الوقائع، أو الوقت الذي تستغرقه، وطول النصّ قياسا لعدد أسطره وصفحاته"[2]، "فقد تتراوح سرعة النصّ الرّوائيّ من مقطع لآخر، بين لحظات قد يعطي استعراضها عددا كبيرا من الصّفحات، وبين عدّة أيّام قد تذكر في بضعة أسطر".[3]

إذن فإنّ تقنيات الحركة السّردية الأربعة، أي التّقنيات التي تقع في مستوى المدّة من مستويات الزّمن السّردي، ترتبط بقياس السّرعة، فاثنان منهما يرتبطان بتسريع السّرد، والأخريان يرتبطان بإبطائه، ومنه اختلاف مقاطع الحكي وتباينها، يمكن للقارئ أن يلحظ الإيقاع الزّمني لها، ممّا يخلق انطباعا لديه عن سرعة وتباطئ زمن السّرد، ولهذا اقترح "جينت" ضبط هذ الإيقاع من خلال تمييز ودراسة أربعة تقنيات حكائية حصرها في:

[1]- جيرار جنيت، م. س، ص 86.

[2]- ميساء سليمان الإبراهيم، م. س، ص 223.

[3]- آمنة يوسف، م. س، ص 102.

- الحذف.
- الخلاصة.
- الوقفة.
- المشهد

المطلب الأوّل: الحذف

تعدّ تقنية الحذف من أهمّ الوسائل الاختزالية التي يعتمد عليها الكاتب في سرد أحداث روايته؛ إذ يقصد به حذف مدّة من الحكي، والسّكوت عنها تماما، وتخطّي مدّة زمنية شتّى تتلاشى إلى العدم، وتلك هي الحالة القصوى في تسريع الحكاية "[1]، فالحذف الزّمني هو الذي يعطي الزّمن السّردي إمكانية استيعاب الزّمن الحكائي، فلو كان الحدث سيروى دون انقطاع ما لا أهمية له، سيفقد تقنياته الحكاية في التّركيز على الحدث، ويشتّت القارئ ويدخله في تضليل.

ويتمثّل الحذف أو التّأجيل في العبارات التي تؤجّل الحكي دون أن تعود إليه، وهي نوع من الوقف والحصر، فتوجد "هناك دائما بداية جديدة، لأنّ هناك وقفة تبطئ التّدفّق السّردي وكلّها محاولات لتشكيل النصّ الرّوائي تشكيلا جديدا، تضفي على الموروث المسترجع أو المستلهم أو المتمثّل مسوحا من الجدّة توطنها في السّياق المعاصر"[2]، فالحذف وسيلة يستعملها أو يلجأ إليها الرّوائيّ لتجاوز مرحلة في أحداث الرّواية لا أهمية لها، وينتقل من خلالها إلى ما هو أساسيّ في القصّة، ويشكّل حبكة فيها، حتّى لا يطغى على النصّ الرّوائيّ الملل والجمود والرّوتين، بل لكي تظلّ دائما رواية حيّة، تجذب انتباه القارئ، ومن نماذج الحذف في الرّواية، نجد قول السّارد: "بعد أسبوع من احتفالات المولد"[3]، وهو حذف محدّد ومعلن، والدّليل على ذلك قوله: (بعد أسبوع)، أي أنّ السّارد لم يطْلعنا على ما جرى في ذلك الوقت، نظرا لعدم أهمية الأحداث الواقعة فيه.

---

[1]- الجيلالي الغرابي، م. س، ص 35.

[2]- محمّد معتصم، م. س، ص 106.

[3]- الرّواية، ص 16.

كما يحضر الحذف المحدّد في الرّواية، فيقول السّارد: "يأخذ (أحمد) بتلابيب يد (عثمان) يتبادلان الابتسامات، لتبدأ رحلة عظيمة تتكرّر كلّ يوم مدّة سنتين"[1]، فالرّاوي لم يخبرنا بما حدث في تلك السّنتين، بل اختزلها وانتقل مباشرة إلى نجاح (عثمان) في شهادة البكالوريا، وذلك لتسريع زمن الحكي والانتقال مباشرة إلى بداية جديدة، ومرحلة أخرى في الرّواية.

كما نجد في الرّواية أيضا حذف غير محدّد، ويتمثّل ذلك في قول السّارد: "إنّه الفاتح من الشّهر يوم الأربعاء، موعد احتفالية تكريم الحفظة، اليوم الأكبر في القرية"[2]، فالحذف هنا غير محدّد وغير معلن عليه، بل سيشعر به القارئ بنفسه، لأنّ السّارد أشار إليه في النصّ، فأخبرنا عن حفلة الختم -بمناسبة ختم (عثمان) للقرآن الكريم- لكنّه لم يطلعنا على التّجهيزات وما حدث في تلك الأيّام، بل انتقل مباشرة إلى اليوم المنشود، يوم الاحتفالية الكبرى.

ومن الحذف الضّمني أيضا الذي نجده فيها، هو أقسام الرّواية الثّمانية التي عنونها المؤلّف، وذلك للانتقال من مرحلة إلى أخرى فيها، أي منذ طفولة (عثمان) حتّى كبره، نجاحه، وموت والديه، ودخوله الجامعة، وزواجه، فاغتزل الرّاوي ما لا أهمية له، وركّز فقط على الأحداث المهمّة، حتّى لا يفقد السّرد تقنياته الحكائية.

المطلب الثّاني: الخلاصة

لها عدّة مسمّيات أخرى من بينها: الإيجاز، المجمل، الملخّص، وكلّها مسمّيات لمعنى واحد، يعتمد عليها الكاتب في "سرد أحداث ووقائع، يفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزلها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة، دون التّعرّض للتّفاصيل".[3]

[1]- الرّواية، ص 38.

[2]- الرّواية، ص 30.

[3]- حميد لحمداني، م. س، ص 76.

تتمّ هذه التّقنية الحكائية السّردية، حين "تقدّم مدّة غير محدّدة من الحكاية الملخّصة بشكل توحي معه بالسّرعة"[1]، فيعمل على تسريع الأحداث وتواليها، والقفز إلى ما هو أكثر أهمية داخل المتن، وعليه، يكون الزّمن الحكائي أقلّ من زمن القصّة أو السّرد، لأنّ زمن السّرد يعتمد على انتقاء الأحداث التي تخدم منطق السّرد، فهذه التّقنية تساعد الرّاوي على تجاوز كلّ ما هو غير مهمّ في روايته، والانتقال إلى أحداث أكثر أهمية.

لقد حضرت هذه الحركة في رواية "ابن القرية"، فنجد مثلا (عثمان) يقول: "لم أتجاوز الخمسة عشر ربيعا حتّى حفظت كتاب الله كاملا"[2]، ففي هذا المثال، لخّص لنا (عثمان) المدّة التي استغرقها في حفظ القرآن في بضعة أسطر، فلم يخبرنا بتفاصيل تلك المدّة، وما حدث فيها، وكيف حفظ كتاب الله، بل ذهب مباشرة إلى النّتيجة المهمّة، وهي ختمه له.

توجد اختزالات أخرى في النصّ، ويبدو أنّ الكاتب اعتمد على تقنية الخلاصة بكثرة، فالنصّ الرّوائي غنيّ بها، والهدف منها، أي من هذه التّقنية السّردية، هو الدّفع بعجلة وسيرورة السّرد إلى الأمام، والتّقدّم في أحداثها.

المطلب الثّالث: الوقفة

تدعى الوقفة بالبطء والتّبطّؤ والتّعطيل، كما يمكن تسميتها بالاستراحة أيضا، وهي تقنية يلجأ إليها المؤلّف قصد توفيق الحكي وتعطيله، فهي زمن الكتابة أو زمن الحاضر النصّي، الذي يتوقّف فيه السّارد، فاسحا المجال للوصف والتّقرير والإنشاء "وتكون في مسار السّرد الرّوائي توقّفات معيّنة، يحدثها الرّاوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السّيرورة الزّمنية، ويعطّل

[1]- الجيلالي الغرابي، م. س، ص 34.

[2]- الرّواية، ص 25.

حركتها"[1]، فالوقفة تقنية من تقنيات تعطيل السّرد، إلى جانب الوصف، فهي تقنية مهمّة في إدارة الأحداث وترابطها.

ولقد عرفت رواية "ابن القرية" "توظيفا معتبرا لهذا العنصر، نذكر على سبيل المثال، ما جاء في وصف (الحاج صالح) في قول السّارد: "فالحاج معروف عند السّاكنة بصرامته وغلظته، وبنية جسده وسرعة غضبه...، لكن في المقابل يبدي تعاطفا كبيرا مع المظلومين ويروقه مساعدتهم، وأن يكون سببا في تعليم النّاشئة، رغم أنّه أمّيّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة"[2]، كانت هذه وقفة من قبل السّارد، يصف بها شخصية (الحاج صالح) ومكانتها بين النّاس، وصرامته وشدّته، بالإضافة إلى رقّة قلبه.

ولنا وقفة أخرى للبطل (عثمان) يوم رحلته، عندما التقى مع أستاذ جامعيّ، فوصفه فقال: "يبتسم الرّاكب الجديد في وجهي ابتسامة مشرقة لوّاحة للنّظر عليها علامات الوقار والاحترام، ممّا أوحى إليّ أنّه ذو شأن ومكانة... فترحابه وكلماته الفصيحة تدلّ على ذلك، كما أنّ لباسه... يدلّ على أنّه مثقّف ومتعلّم"[3]، بهذه الوقفة الوصفية عطّل السّارد سير الحكاية، ليقدّم لنا الشّخصية الجديدة في الرّواية على لسان بطل الرّواية (عثمان).

كما نجد وقفة أخرى هي عبارة عن تقرير عن قرية (عثمان)، حين وصفها عندما طلب من الأستاذ المرافق له في الرّحلة بأن يحدّثه عنها فقال: "الواحة الحمراء المدينة تبعد على العاصمة بـ 1200 كم، تجاور في فضائها الجغرافي أكبر عرق رملي: العرق الغربي الكبير الذي تصل مساحته إلى 8 آلاف كم مربّع، يعود حسب المؤرّخين إلى 31 ألف سنة...".[4]

ويأتي وصف آخر لزوجة البطل (عثمان) (حورية) عند أوّل لقاء لهما، فيقول السّارد: "تصعد مسؤولة التّشريفات، طالبة عضوة نشطة من قادة الجمعية، لتنادي أسماء من سيكرّمون... تصعد

[1]- حميد لحمداني، م. س، ص 76.

[2]- الرّواية، ص 28.

[3]- الرّواية، ص 91.

[4]- الرّواية، ص 93.

بخمارها الوردي الفاتح، وحجابها المتميّز المتناسق، مع وجهها الوضّاء الجميل البهيّ... بهاء من خلق فأحسن الخلق...، تنادي... بكريزمة قويّة... وبصوت جهوريّ، خال من أيّ تعتعة أو نكوص أو تردّد أو خوف".[1]

المطلب الرّابع: المشهد

يقصد بالمشهد المقطع الحواريّ الذي يأتي في كثير من الرّوايات في تضاعيف السّرد "إنّ المشاهد تمثّل بشكل عامّ اللّحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السّرد بزمن القصّة من حيث مدّة الاستغراق، وإن كان النّاقد البنيوي "جيرار جنيت" ينبّه إلى أنّه ينبغي دائما أن لا نغفل أنّ الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين الأشخاص المعنيين، قد يكون بطيئا أو سريعا حسب طبيعة الظّروف المحيطة"[2]، فهو يعطي القارئ إحساسا بالمشاركة في الفعل، "لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الرّاوي، فهنا تقابل بين مشهد الحواري وبين التّلخيص، فيتّصل الحوار بأوثق سمات السّرد وهي الدّيمومة لإقامة التّواصل".[3]

ومن شأنه أيضا أن يسهم في الكشف عن الأبعاد النّفسية والاجتماعية والشّخصيات الرّوائية، التي يعرضها الرّاوي في عرض مسرحيّ مباشر، وهي من أقرب التّقنيات السّردية تطابقا بين زمن: السّرد/القصّة، إلّا أنّه من الصّعب قياس سرعتها، أو وصف زمنها، بكونه بطيئا أو سريعا أو متوقّفا بسبب لحظات الصّمت أو التّكرار التي تتخلّل المشاهد الحوارية، جاعلة من الاحتفاظ بالفرق بين زمن الحوار السّردي وحوار القصّة قائما على الدّوام".[4]

كما تعتمد الرّواية على الوصف بشتّى أنواعه، ويرتبط المشهد أيضا بالوصف، لأنّ العناصر الأساسية لبناء حكاية أو قصّة، تحتاج إلى إفهام أو توضيح وتسلسل وانسجام، فالمكان يحتاج إلى

---

[1]- الرّواية، ص 123.

[2]- حميد لحمداني، م. س، ص 78.

[3]- ميساء سليمان الإبراهيم، م. س، ص 226.

[4]- آمنة يوسف، م. س، ص 133.

أثاث (ديكور المسرح) يحدّد أبعاده البصرية والمرحلية، والشّخصية الرّوائية متعدّدة الأبعاد (أوصاف خارجية وسلوك وحالات باطنية ووظائف وأوضاع اجتماعية وأفكار ووعي خاصّ...).[1]

ومن الملاحظ أنّ تقنية المشهد قد احتلّت نسبة معتبرة في رواية "ابن القرية"، فقد وظّفها "ولد الصدّيق ميلود" على شكل حوار بين شخوص الرّواية، ومن بين هذه المشاهد نذكر الحوار الذي جرى بين عثمان ووالده، إذ يقول:

- "ينادي الوالد على عثمان:
- أين عمر وَ موسى؟
- قادمان، أبي.
- اقترب منّي... سمعت أنّك ستختم سورة البقرة عمّا قريب...
- نعم، نعم أبي، يقول أبي.
- يضحك الحاجّ ثمّ يبتسم:
- التقيت صبيحة اليوم بشيخ الكتّاب وأخبرني بذلك قبل أن تعلمني أمّك، و أسرّ إليّ أنّك في الفاتح من الشّهر المقبل ستكون ضمن الحفظة الأربعة والعشرون، المعنيّون بحفل الختم.
- يضحك الوالد مرّة أخرى.
- سنبعث بمكرمة (فتوح للمدرسة صبيحة يوم الغد، وقد كلّفت موسى أن يشتري ما يلزم...).
- في الفاتح سنفرح وستفرح جميع العائلة بختمتك.
- خديجة: بالبركة عليك.
- سالم: الله أكبر، تهانينا... بالبركة عثمان".[2]

---

[1]- محمّد معتصم، م. س، ص 30.

[2]- الرّواية، ص 29.

الفصل الثّاني:

بنية المكان في رواية "ابن القرية"

الملاحظ في الدّراسات الحديثة اهتمامها بمصطلح المكان؛ حيث أفرزت العديد الأبحاث التي شكّلت الباب الذي نلج من خلاله إلى المفاهيم المتعدّدة لهذا المصطلح، لقد كان حديث "أفلاطون" و "أرسطو" وغيرهما من الفلاسفة عن المكان في إطار فلسفي، كما تناول "ديكارت" و "إقليدس" ورياضيون آخرون المكان من حيث صورته الهندسية.

واستمرّت الدّراسات التي اهتمّت بالمكان وماهيته في التّوسّع، ليشمل الأدب أيضا، فكان له نصيب وافر من الأبحاث حول هذا المصطلح بفضل الشّعر والنّثر، فاهتمّ علماء الأدب به، وأصبح الأديب يحمل المكان مقاصده التي ينبغي للقارئ والباحث الوصول إليها، وجعل منه رمزية تحمل الكثير من المعاني المخفية والمضمرة فيه، والتي لم يخبر عنها بشكل مباشر وصريح.

وبهذا يعتبر المكان من أهمّ الضّمائر المشكّلة للسّرد، فهو ينتقد معاني متعدّدة، ويحدّد في العمل الأدبي من خلال أشكال متنوّعة "إلى أن يشكّل أحيانا سبب كينونته"[1]، وحتّى نتوصّل إلى أهمية المكان وأنواعه ووظائفه، يجب التّطرّق أوّلا إلى مفهومه.

المبحث الأوّل: ماهية المكان وأهميته

المطلب الأوّل: ماهية المكان

1/ لغة:

يعتبر المكان من أهمّ المكوّنات التي تشكّل بنية النصّ الرّوائي، إذ لا يُمكن أن نجد نصّا روائيّا دون ذكر المكان أو حيّز فضائي تسير فيه الأحداث، فهو بمثابة العنصر الفعّال الذي تتجسّد من خلاله أحداث الرّواية والعمل الأدبي.

ولقد ورد في بعض القواميس والمعاجم التي تناولت تعريف المكان ومفهومه، على أنّه موضوع كون الشّيء وحصوله، فهو "لفظ مشتقّ من مادّة (م ك ن) وهو الموضع، وقد أورد "ابن منظور" في

[1]- الجيلالي الغرابي، م. س، ص 65.

"لسان العرب" لفظ (المكان) تحت جذر (ك و ن) لكنّه لم يلبث أن أعاد الحديث تحت الجذر (م ك ن) فقال: "والمكان الموضع، والجمع أمكنة وجمع الجمع أماكن، فتوهّموا الميم أصلا حتّى قالوا تمكّن في المكان وعلى الرّغم من ذكره "المكان" ضمن الجذرين (كون و مكن) إلّا أنّه يؤكّد أنّ "المكان" مشتقّ من (ك و ن) لا من (م ك ن) ونستشهد بقول اللّيث "المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنّه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنّها أصلية".[1]

فالمكان لغة: هو الموضع والمنزلة، ولقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾*، ويقول الله عزّ وجلّ متحدّثا عن المكان بهذا المعنى: ﴿ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾.*

2/ اصطلاحا:

اختلفت المفاهيم الخاصّة بمصطلح المكان نتيجة تنوّع الدّراسات والأبحاث حوله؛ حيث أطلق عليه "عبد الملك مرتاض" مصطلح "الحيّز"، وذلك مقابلا للمصطلح الفرنسي "Espace" والإنجليزي "Space"، فقال: "لعلّ أهمّ ما يمكن إعادة ذكره أنّ مصطلح "الفضاء من منظورنا على الأقلّ قاصر بالقياس إلى الحيّز، لأنّ الفضاء من الضّرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ".[2]

فعنصر المكان هو الحيّز الذي تجري فيه أحداث الرّواية، وهو فكرة مرتبطة بوجود الكائنات الحيّة في مكان ما، وهو ما أيّدته الآيات القرآنية التي أكّدت أنّ "وجود الإنسان في مكان معيّن، يعدّ أساس حياته ودوامها واستقرارها"، فالمكان يمثّل الحيّز الأكبر في حياة الإنسان لأنّه يعيش ويحتمي

---

*- سورة إبراهيم، الآية 17.

*- سورة مريم، الآية 22.

[1]- ربيب كتيبة، م. س، ص 75.

[2]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1990م، ص 121.

فيه، وإليه يعود بعد الموت، فلا يمكن تصوّر وجود الإنسان بلا مكان"[1]، هكذا أدرك دارسوا الأدب وناقدوه أهمية المكان في الحياة والنصّ الرّوائي الأدبي، فظهر كمصطلح نقدي قامت على مفاهيمه دراسات عديدة.

المطلب الثّاني: أهمية المكان

يرى بعض الدّارسين أنّ للمكان أهمية كبيرة في الرّواية، لا تقلّ عن أهمية الزّمن كثيرا، فإذا كان المقام الأوّل في الرّواية هو الزّمن الفنّي والذي يحاكي الموسيقى في بعض تكويناته، ويقوم على مقاييس مثلها مثل الإيقاع ودرجة السّرعة، فإنّه ومن جهة أخرى يشبه الفنون التّشكيلية من حيث الرّسوم والنّحوت التي تساهم في تشكيلها، فالمكان عنصر مرتبط بالزّمن الرّوائي وتابع له، وهذا أمر لا يقلّل من قيمته، بل على العكس، فكلّما توطّدت العلاقة بينه وبين تقنية الزّمن، إلى حدّ يستحيل فيه التّفريق بينهما باعتبارهما عنصرين مكمّلين لبعضهما البعض ومرتبكين ارتباطا شديدا ووثيقا، فلا يمكننا تناول المكان بمعزل عن الزّمان والعكس صحيح، وهذا ما أنتج لنا مصطلح "الزّمكاني الرّوائي" والذي يعبّر عن العلاقة الجوهرية المتبادلة بينهما.[2]

ويعتبر المكان وحدة أساسية وحيوية في الرّواية والعمل الأدبي بتفرّعه، فالمكان هو الذي يعطي للرّواية واقعيتها، وذلك من خلال تجسيد أحداثها للقارئ، فتصبح أمرا محتمل الوقوع في الواقع أو الحقيقة، فلا يمكن تصوّر حدث أو فعل روائي، إلّا بوجود حيّز مكاني، إذ أنّ "السّرد من دون حيّز، لا يمكن أن تنمّ له هذه المواصفة، إنّه لا يستطيع أن يكون ولو أراد، بل إنّا لا ندري كيف يمكن تصوّر وجود أدب خارج علاقته مع الحيّز، من أجل ذلك يجب أن يعتبر الأدب في علاقاته بالحيّز، ليس فقط –وهو ما قد يكون الطّريقة السّهلة، ولكن على الأقل دقّة لدى اعتبار هذه العلاقات–

[1]– ربيب كتيبة، م. س، ص 77.

[2]– آمنة يوسف، م. س، ص 32.

لأنّ الأدب من بين موضوعات أخر، يتحدّث هو أيضا عن الحيّز، يصف الأمكنة والدّور والمناظر الطّبيعية، وينقلنا في الخيال".[1]

فبفضل هذا الدّور الفعّال في الرّواية، يتحوّل المكان من مجرّد خلفية تقع فيها أحداث الرّواية إلى تقنية من تقنيات العمل الرّوائي، فيأطّر المادّة الحكائية وينظّم أحداثها، فيضفي عليها طابع التّماسك والانسجام، لأنّ "المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السّرد، وإنّما يدخل في علاقات متعدّدة مع المكوّنات الحكائية الأخرى للسّرد كالشّخصيات والأحداث والرّؤيا السّردية... وعدم النّظر إليه ضمن هذه العلاقات والصّلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدّور النصّي الذي ينهض به الفضاء الرّوائي داخل السّرد"[2]، فالحال أنّ المكان مرتبط بهذه التّقنيات السّردية التي تكمّل بعضها وتعطي للنصّ الرّوائي روحا منسجمة ومنتظمة، لا يوجد بها إخلال يفقد النصّ توازنه وفكرته المراد إيصالها.

"إنّ الرّواية الحديثة خاصّة منذ "بلزاك"، قد جعلت من المكان عنصرا حكائيّا بالمعنى الدّقيق للكلمة، فقد أصبح الفضاء الرّوائي مكوّنا أساسيّا في الآلة الحكائية".[3]

فكان "بلزاك" يقوم بتقديم وصف للمكان الرّوائي عن طريق الاستقصاء، فيكشف عن العلاقة بين المكان والأشياء والأحداث، ويصفها ويحدّد المكان، ويستخلص استنتاجات حولها، وهذا هو السّبب في إعطائها المكان رمزية، فالصّحراء في رواية "ابن القرية" ترمز على العجز والمعاناة والتّهميش، ويتّضح ذلك من خلال قول الكاتب: "لم تكن محطّة الحافلات سوى ركن (موقف) منزو أسفل الطّريق، صنعه أهل القرية من رغف النّخيل... مكان صغير وضيّق... مضت أشهر وسنوات وهم يشتكون، دون جدوى علهم يحظون بمعاملة كريمة إنسانية تليق بهم، مثلهم مثل باقي القرى"[4]، وفي

[1]- عبد الملك مرتاض، م. س، ص 132.

[2]- حسين البحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1990م، ص 26.

[3]- المرجع نفسه، ص 27.

[4]- الرّواية، ص 70.

مثال آخر يقول: "في أغلب فترات اللّيل تنقطع الكهرباء ولا ضوء في القرية سوى نور القمر"[1]، وفي قوله أيضا: "كلّ سنة تشيّد يعدوننا بتشييد محطّة حافلات دون أن يفوا بذلك... ومتى كانت السّلطات تفي بوعودها أصلا، كذّابون... يتوسّلون لنا عند اقتراب الانتخابات، ثمّ ينصرفون إلى مصالحهم بُعَيْدَ فوزهم".[2]

يبيّن لنا الرّاوي في هذه الفقرات التّهميش الذي تعاني منه قرى الصّحراء، فحتّى أبسط الأمور مثل (موقف انتظار الحافلات) منعدم، بالإضافة إلى انقطاع الكهرباء معظم الأوقات، تدهور حالة المستوصف ونقص الإمكانيات فيه.

كلّ هذه الأمور تدلّ على الإهمال الذي يعاني منه سكّان القرية، فبالرّغم من أنّها تملك كلّ المؤهّلات والثّروات المتنوّعة لتصبح جنّة فوق الأرض، إلّا أنّها لازالت تعاني من تخلّف اقتصادي واجتماعي؛ حيث أصبح يشكّل هذا الإهمال حاجزا أمام قاطنيها وجعلهم يعيشون في العجز والمعاناة، باستثناء (عثمان) بطل الرّواية، الذي استطاع كسر هذه الحواجز وولّد من رحم هذه المعاناة القوّة للنّجاح، وهذا ما يحمل دلالات تمثّل القوّة والعزم الذي خلّفه المكان الصحراء في نفس (عثمان).

ولهذا، فإنّ اهتمام الرّوائيين بالمكان كان كبيرا، حتّى أنّهم قد حملوا بعضا من رواياتهم في عناوينها أسماء أماكن، لأنّ العنوان هو المفتاح الذي يفتح أمامنا آفاق لفهم النصّ، ولهذا فإنّ "الفضاء الرّوائي، مثل المكوّنات الأخرى للسّرد، لا يجود إلّا من خلال اللّغة، فهو فضاء لفظيEspace verbal" بامتياز، ويختلف عن الفضاءات الخاصّة بالسّينما والمسرح، أي عن كلّ الأماكن التي ندركها بالبصر والسّمع، إنّه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، ولذلك فهو يتشكّل

[1]- الرّواية، ص 72.

[2]- الرّواية، ص 72.

كموضوع للفكر الذي يخلقه الرّوائي بجميع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه ".[1]

فتعاظمت أهمية المكان في الأدب الرّوائي؛ حيث يقول "حميد لحمداني": "أنّه إذا كانت أهمية المكان كمكوّن للفضاء في الرّوايات، تجعل من بعض النقّاد يعتقدون أنّ المكان هو كلّ شيء في الرّواية، كما تبيّن له مع رأي "هنري متران" الموضّح من خلال القول التّالي: "إنّ الفضاء داخل الرّواية، بعيدا عن أن يكون محايدا، نراه يعبّر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني متعدّدة إلى الحدّ الذي نراه أحيانا يمثّل سبب وجود النّتاج نفسه".[2]

هذه الآراء تكون أكثر واقعية حين تكتسب جزءا كبير في الرّوايات، وذلك من أجل تجسيد المكان للمشاهد والأحداث الواقعية، وتقلّ هذه الأهمية حين تنطلق الرّواية دون تحديد الإطار المكاني عندما يندر فيها تصوير الأحداث والحركة.

لا تكمن أهمية المكان في الرّواية بفصل أبعاده الحسية والهندسية المتمثّلة في طوله وعرضه وعمقه، كما يفعل ماسحوا الأراضي الذين يستخدمون الرّياضيات والتّكنولوجيا ومعدّات متخصّصة لرسم خريطة للمنطقة وحساب أبعادها، بل بما يحتويه من أشياء، فانشغل الرّوائيون والنقّاد والأدباء على ما يوجد فيه من كائنات حيّة –إنسان وحيوان– وما ينبت على أرضه من نبات وثمار، وما يعيش فيه من مخلوقات أخرى، فالمكان في الرّواية هو الذي يقدّم لها النّبض الذي يخلق فيها الحياة عن طريق الوصف، فتثير الحماس في نفس القارئ، فتجعله يغوص في أعماق هذا العمل وكأنّه حقيقة، فتبيّن علاقته بالزّمن والأشياء المحاطة به، وتأثّره بالإنسان وتأثير الإنسان فيه.[3]

[1]– حسين البحراوي، م. س، ص 27.

[2]– حميد لحمداني، م. س، ص 66.

[3]– ينظر: مُحَمَّد عبد الله القواسمة، الرّواية والمكان، موقع الدّستور، يوم 07 تشرين الأوّل، أكتوبر 2016م، addustour.com .

فالأماكن لها تاريخ مرتبط بها، يخلد فيه التّغيّرات والتّحوّلات التي شهدها هذا الحيّز، هذا ما يراه النّاقد الفرنسي "ميشال بوتور"[1]، والرّوائي هو المسؤول عن تقديم هذا التّاريخ لنا، عن طريق روايته، وهذا ما شاهدناه في رواية "ابن القرية"، حين وصف "ولد الصديق ميلود" قريته، وكيف كانت قبل عشرات السّنين، وما آلت إليه الآن بفضل تغيّر الزّمن وتقدّمه.

أمّا عن العلاقة بين الإنسان والمكان، فهي وطيدة، فيها تأثير وتأثّر، فالإنسان ابن بيئته، هو من يؤثّر فيها ويغيّر معالمها، فينعكس هذا على الإنسان، ويصبح المكان يعبّر عن نفسيته وحالاته وتطوّره وتفكيره، ودرجة العلم والثّقافة التي وصل إليها، وهذا ما يلاحظ في رواية "ابن القرية"؛ حيث يعكس المكان الشّخصيات وتكوينها الدّاخلي والخارجي، فطبيعة الحياة في الصّحراء تختلف عن الحياة في الشّمال، وكذلك فيما يخصّ العادات والتّقاليد، فالمكان الصّحراء يبيّن لنا كم أنّ الأشخاص هناك بسطاء ومتمسّكون بعاداتهم وتقاليدهم، ومرتبطون بالتّراث ارتباطا شديدا، ويظهر ذلك من خلال طريقة عيشهم ومنازلهم التي لا تزال تحافظ على الطّابع القديم.

ومنه، فإنّ المكان تربطه علاقات وثيقة مع عناصر السّرد الأخرى –الزّمن، الشّخصيات–، أي التي تعمل على تنظيم أحداث الرّواية ووقائعها، فالمكان سواء كان مشهدا وصفيّا أو مجرّد إطار أو خلفية للحدث، فإنّه "يدخل في نسيج النصّ من خلال حركة السّارد في المكان، فيغيّر إيقاع السّرد بعبور السّارد أمكنة مختلفة في الرّواية، ممّا يؤدّي إلى تغيّر الأمكنة داخل الفضاء الرّوائي، الذي ينتج عنه"[2]، وهذا بالفعل ما وقع في رواية "ابن القرية"؛ حيث انتقل الرّاوي بنا إلى أماكن مختلفة، فمن الصّحراء أدرار إلى غرداية ثمّ وهران، وهذا ما يشكّل نقطة تحوّل في الرّواية وتركيب السّرد والمنحى الدّرامي الذي اتّخذته.

[1] – محمّد عبد الله القواسمة، الرّواية والمكان، موقع الدّستور.

[2] – أهمية المكان في النصّ الرّوائي، مجلّة نزوى https://www.nizwa.com

من كلّ هذا، نستنتج أنّ أهمية المكان تكمن في الانعكاس الذي يقوم به لأحاسيس الشّخصيات في الرّواية، بل أعمق من ذلك، "إذ يمكنه القيام بدور الشّخصية، وذلك باعتباره تصويرا لغويّا، يشكّل معادلا حسيّا ومعنويّا للمجال الشّعوري والذّهني للشّخصية"[1]، فالمكان قد يصبح في بعض الرّوايات شخصية رئيسية، يؤثّر في الشّخصيات والأحداث، ويقود الرّواية إلى النّهاية.

وعلى هذا، فإنّ المكان عنصر مهمّ في الرّواية، اهتمّ بظواهره وحقائقه الإنسان بصفة عامّة والرّوائي بصفة خاصّة، لأنّه يملك نظرة وتفكير أعمق من نظرة الشّخص العادي، ربّما يرجع ذلك لارتباطه به وحنينه إلى الموطن الأصلي الذي عاش أو وُلد فيه.

لقد أدرك الرّوائيون أهمية المكان في عوالمهم الأدبية، وهذا ما دفعهم إلى تصوير ذلك الحنين من خلال أعمالهم ورواياتهم، وهو ما كان في رواية "ابن القرية"، أين ذكر الرّاوي أماكن محبّبة في نفسه، ومرتبطة بطفولته، وأماكن عاش فيها نجاحه، وأماكن عاش فيها حزنه وألمه، هذا ما يبيّن أهمية المكان في الرّواية والدّور المهمّ الذي يشغله فيها.

المبحث الثّاني: تنوّع الأمكنة ووظائفها

المطلب الأوّل: أنواع الأمكنة

تتوزّع الأماكن في الرّوايات إلى أنواع، تتميّز هذه الأخيرة بتنوّع كبير من حيث الوظيفة والدّلالة، وهذا ما يجعلنا نفرّق بين أمكنة الإقامة وأمكنة الانتقال، التي تشكّل لنا ثنائية ضدية أولى، تتولّد عنها ثنائيات أخرى تابعة لها، مثلا في أماكن الإقامة نجد ثنائية جديدة هي (أماكن الإقامة الاختيارية/ أماكن الإقامة الإجبارية) وكمثال عن ذلك نقول (المنزل / السّجن)، أما أماكن الانتقال فهي الخليفة التي تحتوي حركة الشّخصيات وتنقّلاتها، وتمثّل الحيّز الفضائي الذي تجد فيه الشّخصيات نفسها عند

[1]- المرجع نفسه.

انتقالها من أماكن إقامتها الثّابتة، وتكون هذه الأماكن متمثّلة في الشّوارع والأحياء، والمحطّات وأماكن الالتقاء بالنّاس في الخارج كالمحلّات والمقاهي.

وقد ارتبطت رواية "ابن القرية" بالحيّز الفضائي –المكان–، فقام الرّاوي بتصوير بعض الأماكن لنا وقُدسيتها، سواء ما تعلّق منها بالأماكن المغلقة أو المفتوحة، وفيما يلي سنعالج بعض الأماكن المغلقة التي سبق ذكرها في الرّواية:

1/ الأماكن المغلقة:

هي الأمكنة التي تتّصف بحيّز فضائي محدود، يكون في معظم الأحيان خاصّ، يبعث في النّفس مشاعر مختلفة سلبية وإيجابية، كالأمن والألفة والخوف والوحدة، ومن الأماكن المغلقة في الرّواية نذكر:

أ/ البيت:

يوحي لفظ البيت عادة بالسّكون والطّمأنينة، فالمنازل تشكّل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة... فإذا وصفت البيت، فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبّر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجوّ في نفوس الآخرين، الذين يتوجّب عليهم أن يعيشوا فيه"[1]، ولقد حضر البيت في رواية "ابن القرية" في مواضع عدّة، نذكر منها: "ألف الحاج مُحَّد أن يكون بيته مزارا وقبلة للقادمين من القرى المجاورة"[2]، فيظهر البيت في الرّواية على أنّه مكان يرحّب بالضّيوف ويستقبلهم، بالرّغم من أنّه يتّسم بسمات الفقر، وهذا دليل يعبّر عن كرم وجود أهل الصّحراء، وهو ما يوجد حقيقة في الواقع، فبساطة بيت الحاج مُحَّد وعيشته البسيطة، لم تكن عائقا أمامها بصنعه من فتح باب منزله لغيره.

[1]– حسين البحراوي، م. س، ص 43.

[2]– الرّواية، ص 13.

ب/ الغرفة:

هي مكان خاصّ مغلق، يوجد في كلّ البيوت، يستعمل من أجل النّوم، أو لاستقبال الضّيوف، ويوجد أيضا في الشّركات والمؤسّسات بتنوعّها، وهو ما يسمّى بالمكتب، ولقد ظهرت في الرّواية، فيقول السّارد "يدخلهما لغرفته الخاصّة أعلى البيت، يغلق الأبواب جميعها والنّوافذ أيضا[1]".

ذكر الكاتب في الرّواية الغرفة بثلاث مسمّيات هي: الغرفة، دار الضّياف، والدّهليز، وفي جميعها تدلّ على معنى واحد وهو مكان للرّاحة، واستقبال الضّيوف.

ج/ الكتّاب:

وهو ما يسمّى بالمدرسة القرآنية، هي مدارس ملحقة بالمسجد، تعمل على غرس المبادئ والقيم الاجتماعية الحميدة في نفوس الأطفال، عن طريق حفظهم للقرآن وفهم معانيه، ذكر الكتّاب بكثرة في الرّواية، لأنّه مرتبط بطفولة (عثمان) بطل القصّة، بالإضافة إلى تمسّك أهل الصّحراء الشّديد بالدّين وحرصهم على أن يحفظ أبناءهم كتاب الله، مثلما فعل أجدادهم وسابقيهم؛ حيث يقول السّارد: "عند مدخل المدرسة القرآنية سمعوا أصوات الطلّاب من بعيد، تتعالى بتلاوة القرآن وحفظه، دونها صوت شبح الكتّاب وهو يصف على بعضهم".[2]

فالكتّاب أو كما جاءت في الرّواية "آقربيش" الكلمة الصّحراوية ذات الأصل الأدراري، نلاحظ أنّ أهل القرية مرتبطون بها ارتباطا وثيقا، لأنّ حفظ القرآن واجب عندهم منذ الصّغر، وهذا ما كبر عليه (عثمان) بن الحاج مُحَمَّد؛ حيث ختم القرآن وهو لا يزال في الخامسة عشر من عمره، فالكتّاب هنا يحمل دلالات صوفية ودينية، تبيّن الارتباط الشّديد بينها وبين أهل القرية وسكّانها، فقد ذكر مرّات عدّة في الرّواية، فهذا ما يبني الأهمية الكبيرة التي يشمل عليها في الرّواية.

[1]- الرّواية، ص 25.

[2]- الرّواية، ص 18.

د/ المسجد:

المسجد أو الجامع، هو بيت الله، مكان مخصّص للعبادة، تؤدّى فيه الصّلوات الخمس التي فرضها الله على المسلمين والتي يدعا له عن طريق الآذان، له أحكام وآداب خاصّة به، وشروط وجب على المسلمين التّقيّد بها، أوّلها الطّهارة، يتساوى فيه الضّعيف والقويّ والأسود والأبيض والأحمر والأشقر، وظهر في الرّواية، فيقول الرّاوي "بدأ النّاس يتوافدون على المسجد الجامع، وأخذ الأئمّة وشيوخ الزّوايا أماكنهم في المقدّمة قرب المحراب".[1]

ذكر المسجد في الرّواية أكثر من مرّة، وهو يحمل دلالات فلسفية ودينية، فهو مكان مقدّس جامع للنّاس بحركتهم ونشاطهم الدّيني وعقيدتهم، فالجامع هو توسيع لمعنى المسجد، فلم يعد عمل المسجد مقتصرا على استقبال المصلّين لأداء الصّلوات والفرائض فقط، بل يجمعهم في مناسباتهم الدّينية، مثل ما أشارت إليه الرّواية فيما يخصّ الاحتفالية التي قاموا بها بمناسبة ختم القرآن.

هـ/ الجامعة:

الجامعة هي مؤسّسة للتّعليم العالي والأبحاث، يجتمع فيها النّاس من أجل الحصول على العلم، تعتبر كآخر مرحلة دراسية للطلّاب، تمنح فيها الشّهادات كدليل على نجاح الطّالب وتفوّقه، يدخل من خلالها إلى الحياة العملية.

ذكرت الجامعة في الرّواية في عدّة مواضع، لأنّها كانت حلما بالنّسبة لعثمان، وجاء وصف لها أيضا، فقيل: "الجامعة هي الصّرح العلمي الحصين، الذي يولّد الأفكار والمعارف والأدمغة إلى أتربة الواقع".[2]

[1]- الرّواية، ص 31.

[2]- الرّواية، ص 97.

فالجامعة تحمل هنا دلالات اجتماعية، فالالتحاق بالجامعة جرس إنذار شخصي، ينبّه الطّالب بوجوب تحمّل مسؤوليته الكاملة لوحده، وهذا ما حدث مع (عثمان) عندما انتقل للجامعة، بعيدا عن أهله وقريته لأوّل مرّة، ودلالات نفسية، تتمثّل في اكتمال شخصية (عثمان) واستقرارها، ورسم الطّريق التي يودّ السّير عليها مستقبلا والتّخطيط لأحلامه وتحقيق طموحاته.

2/ الأماكن المفتوحة:

هي الأماكن التي تتميّز بلا محدودية، ويستطيع الدّخول إليها كافّة النّاس، كالشّوارع والمدن والمنتزهات وغيرها من الأماكن، ويمكن فهم المقصد من الأماكن المفتوحة إذا جعلنا من الأماكن المغلقة ضدّا لها.

أ/ القرية:

هي مكان صغير الحجم، يتميّز بقلّة عدد السكّان، وبنقص في المرافق العمومية، مقارنة بالمدينة، لها مجتمع صغير مترابط، قد يتشكّل من قبيلة واحدة، أو قد يتكوّن من عدّة عائلات، ولقد وردت القرية في الرّواية كثيرا، وفي مواضع مختلفة؛ حيث يصفها الرّاوي في البداية، فيقول: "القرية المبني دُورُهَا بالطّين وبجذع النّخيل وجريده، تقف صامدة أمام أتون السّنوات".[1]

فالقرية هنا هي المكان الذي جرت فيه أحداث الرّواية، وهي التي احتضنت طفولة (عثمان) ونجاحاته وآلامه، رغم عدم توفّر شروط الحياة المريحة.

فالقرية تحمل دلالات اجتماعية واقتصادية ونفسية، فهي صورة المجتمع المتمسّك بعاداته وتقاليده ودينه الذي نشأ فيه (عثمان)، وتدلّ على المعاناة والعجز نتيجة التّهميش الذي تتعرّض له من طرف المسؤولين عليها.

[1]- الرّواية، ص 07.

ب/ الصّحراء:

هي منطقة جغرافية قاحلة، تتميّز بطقسها الجاف وشديد الحرارة وقلّة الأمطار فيها، ورد ذكرها في الرّواية عدّة مرّات، لأنّ بطل الشّخصية الرّئيسية ينحدر منها، وقريته تقع في الصّحراء، فيقول: "المكان صحراء ولا سيّد هنا سوى هذه الشّمس المتربّعة فوق عرصات السّماء، تنبذ الرّحيل وتضرب بحرارتها كلّ متحدّ لنيرانها الحارقة".[1]

فأصل أحداث الرّواية وقعت فيها، وجوّها ومناخها وبعدها، كلّها أمور كان لها تأثير على الشّخصيات، فحملت دلالات نفسية، فهي مكان يبعث الحزن في النّفس، نظرا للتّهميش الذي تتعرّض له، بالإضافة إلى دلالات فلسفية، تتمثّل في كونها رمزا للوحدة والعمق والاتّساع والخوف والفرح، فهي تبعث في نفس قاطنها مشاعر مختلفة، فالحبّ لأنّها مكان معطاء يبهر بجماله، والخوف والكره نظرا لعدم الاهتمام بها وإهمالها من طرف المسؤولين.

ج/ البستان:

هو الأرض التي تزرع فيها الفواكه والخضروات، هو من مظاهر العيش والحياة التي يعتمد عليها معظم أهل القرى والصّحراء في كسب قوتهم، وقد أوضح الكاتب ذلك من خلال قوله: "رغم مرافقته لأخيه الأكبر موسى قصد القيام بمقتضيات الأرض إلى إقران (البستان) ونقل لغبار (السّماد) إليها، إلّا أنّه لا يهتمّ بالأمر كثيرا".[2]

فالبستان الذي جاء في عدّة مواضع في الرّواية، هو مصدر رزق عائلة (عثمان)، يحمل دلالات نفسية، فهو متوارث بين الأجيال في عائلته، إلّا أنّ (عثمان) كسر هذه العادة، واختار لنفسه طريق العلم عوض العمل في البستان، رغم الارتباط الوثيق به، فاهتمّ بدراسته، ولم يكترث لأمر البستان والزّراعة، وكثيرا ما كان يهرب منها، فاختلافه هذا هو سبب نجاحه.

---

[1]- الرّواية، ص 07.

[2]- الرّواية، ص 09.

د/ الزّقاق:

الزّقاق هو الشّارع الضيّق، يوجد بين المباني والمنازل، وقد يشير لفظ الزّقاق أيضا إلى الشّارع القصير، الذي ليس له مخرج، والزّقاق في الرّواية هو المكان الذي كان يلعب فيه (عثمان) مع رفقائه وأصدقائه في الصّغر، ذكر في الرّواية ثلاث مرّات معرفا بـ (ال)؛ حيث يقول الرّاوي: "اختاروا الأزقّة الضيّقة الملتوية المظلمة، وبذلك يستحيل على أحد من الأهالي أن يتعرّف على ملامحهم".[1]

فالزّقاق هنا يرمز إلى المكان الصّغير الذي يساعد على الاختباء، فهو ملاذّهم للهرب من أهل القرية ومن شيخ الكتّاب، فهو يحمل دلالات فلسفية، فهو يمثّل فكر الأطفال في القرية، وكيف جعلوا منه مكانا للاختفاء عن الأنظار، كونه يتميّز بالظّلمة التي تبعث في النّفس الخوف والرّعب.

هـ/ المقهى:

المقهى هو مكان عامّ، يجلس فيه النّاس لشرب القهوة أو الشّاي وما شابه ذلك، ويعتبر مكانا للاستراحة، واجتماع الشّباب وتبادل الأحاديث، وفي بعض الأحيان لمشاهدة المباريات على القنوات الرّياضية المشفّرة.

ورد ذكر المقهى في الرّواية مرّة واحدة؛ حيث يقول (عثمان): "جلست في زاوية من زوايا المقهى، لم يكن المكان سوى غرفة صغيرة مصنوعة بلبنات من طين الأبيض، كتب على أحد جنباته مقهى الرّاحة، ولم يكن فيه ما يبعث على الرّاحة".[2]

المقهى الذي يعبّر عن التّطوّر الاجتماعي، والذي كان ملاذّ المفكّرين والأدباء، في الصّحراء ما هو إلّا مكان يبعث في نفس الإنسان الحزن والضّيق والكآبة، فهو يحمل دلالات نفسية، فشكله

[1]- الرّواية، ص 18.

[2]- الرّواية، ص 85.

القبيح، وانعدام النّظافة فيه، يبعث في نفس زائره وقاصده الكره والاشمئزاز، فهو يظهر كم أنّ الجنوب مفتقر لأبسط الإمكانيات التي توفّر الرّاحة للإنسان، وتساعده على الاستمتاع بوقته.

المطلب الثّاني: وظائف الأمكنة

إنّ تنوّع الأمكنة كان السّبب في تعدّد وظائفها، فالمكان لا يرتبط بالزّمن فقط، بل يرتبط كذلك مع الحدث والشّخصيات، فغالبا ما يحدّد فيه مسار الشّخوص، وتذكر فيه الوقائع والتّجارب، هذا ما يجعل للمكان أهمية بالغة، تظهر في هذه الوظائف التي يؤدّيها، والتي سنذكرها فيما يلي:

1/ المكان الرّحمي:

ويقصد به المكان الذي نرصد فيه بعضا من تصوّراتنا ومشاعرنا الخاصّة الشّخصية، فتتعلّق به حبّا فيه، ونرتبط فيه ارتباطا شديدا بسبب التّجارب التي مررنا بها فيه، أو بسبب الأحاسيس الجميلة التي عشناها به، ومن أحسن ممثّليه المنزل الذي نشأنا به والمدارس التي درسنا فيها والحي الذي كبرنا فيه والقرية وغير ذلك، فيصبح للمكان عناصر تشير إليه، أو تقيمه كفضاء صالح للحياة البشرية.[1]

ويظهر المكان الرّحمي في الرّواية حين يقول السّارد: "سيتذكّر مرحلة ساحرة رائعة من عمره... سيحدث نفسه عن البراءة في أبهى صورها، عن العمل والنّشاط الأدبي والعلمي في أرقى تجلّياته، سيتذكّر المجلّة الحائطية التي كان يبيت مع زميله في القسم –نذير– اللّيالي الطّوال حتّى يعدّا افتتاحيتهما أو يرسماها بخطّ يدهما...".[2]

[1]– ينظر: عبد الله توام، إشراف: هواري بلقاسم، دلالات الفضاء الرّوائي في ظلّ معالم السّيميائية رواية "الأنا... هنا أو شرق المتوسّط مرّة أخرى" لعبد الرّحمن منيف، أطروحة دكتوراه، تخصّص: سيميائيات وتحليل الخطاب، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة، وهران 1، 2015م/2016م، ص 51.

[2]– الرّواية، ص 45.

فالسّارد هنا يبيّن دفء مدرسة (عثمان) وارتباطه بها، والذّكريات السّعيدة التي عاشها بها، وكيف سيتذكّرها حتّى وإن انتقل إلى مرحلة أخرى من حياته، فهي التي احتضنت أفكاره وعمله وجهده، وساعدته على تطوير نفسه، فهي إذا بمثابة منزله الثّاني.

2/ المكان الحنيني:

وهو المكان المرتبط بالماضي، والذي يذكّرنا له، لكن لن نستطيع أن نجد مثله في الحاضر والمستقبل، وهذا ما عاشه (عثمان) عند عودته إلى القرية؛ حيث حنّ للقرية في الماضي، بوجود أهله ووالديه، فقال: "ركبت الحافلة... استحضرت الذّكريات والأوقات، حتّى الآهات والحركات، شعرت وكأنّ الطّريق طويل وشاقّ، كلّما هممت بتخيّلها اجهشت بالبكاء... سأصل إلى القرية... لكن!!! لن تكون نفسها الأزقّة التي مررت بها، ولا الأبواب ذاتها التي ألفت دقّها، رحل الأب... ورحت الأمّ... رحل الجميع"[1]، هنا (عثمان) يحنّ إلى هذا المكان في الماضي وبوجود والديه، لكنّ كلّ شيء قد تغيّر، وبقي الماضي في الذّاكرة فقط.

3/ المكان الهندسي:

هو المكان الجغرافي الذي تقدّمه الرّواية بوصف دقيق وبحياد، وذلك من خلال ذكر أبعاده الخارجية، ومن هذه العوالم، نذكر على سبيل المثال الصّحراء[2]، ونجد في الرّ واية مكان تخطيطي، حين قام (عثمان) بوصف قريته قائلا: "الواحة الحمراء المدينة تبتعد عن العاصمة 1200 كلم، تجاور في فضائها الجغرافي أكبر عرق رملي: العرق الغربي الكبير الذي تصل مساحته إلى ثمانية آلاف كيلومتر مربّع، يعود حسب المؤرّخين إلى 31 ألف سنة...، وتلامس أطرافها أعلى مرتفع للكثبان الرّملية 120 مترا، وتحتوي على معالم أثرية سياحية غاية في الجمال، ليس أجملها ولا أروعها من مثل الكتلة

[1] - الرّواية، ص 136-137.

[2] - ينظر: عبد الله توام، م. س، ص 50.

البستانية الممتدّة على طول غرب المدينة قرب سبختها المشهورة التي كانت يوما ما نهرا يافعا غزيرا بالماء، وبجنب هذه الكتلة فندق تاريخي من تصميم المهندس المعماري الفرنسي "فرناند بوليون"".[1]

جاء وصف (عثمان) لقريته دقيقا وجديّا، وذلك بعد طلب أحد الأساتذة الذي التقى به في الحافلة، وطلب منه أن يعرّفه بقريته، فجمع عصارة أفكاره وقدّم له خلاصة هو موطنه جعله يتحمّس لزيارته.

4/ المكان المعادي:

هو الذي يحمل فيه نوعا من الأحاسيس المؤلمة، والتّجارب البيئية التي يعيشها الإنسان، أو الشّخصية في الرّواية، ويتمثّل في الأماكن القابضة على حرية الإنسان، والتي تميّزها القسوة والعنف والسّلطة، مثل السّجن أو المنفى، أو تلك الأماكن التي تملؤها الوحدة والخوف والرّهبة، والمتمثّلة في الغربة والمنفى وما شابه ذلك.

ويتمثّل هذا المكان في رواية "ابن القرية" في اللّيلة التي أمضاها (عثمان) في المخفر؛ حيث يقول: "بتنا تلك اللّيلة في المخفر... كانت أسود ليلة في حياتي... لم نتوقّع هذا السّيناريو المظلم، ما عسانا نفعل**!!!** ماذا لو يعلم عمّي جلّول... إخوتي، أصدقائي بما يقع... أغلب من في القاعة متحسّرين، قلوبهم وجلة".[2]

يتّضح من خلال هذه الفقرة، أنّ (عثمان) عاش يوما لا يمكن أن يعيده مرّة أخرى، فتجربة السّجن بالنّسبة له تجربة قاسية، جعلته يشعر بشيء من الخوف والوحدة وعدم الأمان والقلق حول ما سيحصل له في المستقبل.

[1]- الرّواية، ص 93.

[2]- الرّواية، ص 113.

هذا المكان وتواجده فيه، جعله يعيد التّفكير حول ما سيفعله في حياته، خصوصا وأنّ عائلته وأصدقاءه وأهل قريته متأمّلين فيه، ويعتبرونه فخرا لهم، ومنه فإنّ السّجن مكان يصعب العيش فيه، لأنّه يجعل قاطنه يشعر بعدم الألفة والكراهية، لأنّه يخلق في النّفس عذابا وتأنيبا الضّمير.

5/ المكان المركّب:

وهو المكان الذي يتكوّن من عدّة أجزاء، ويضمّ أشياء أخرى معه في الحيّز الفضائي الذي يشغله، وأصل هذه الكلمة رياضي، فنقول عدد مركّب، أي يتكوّن من رقمين أو أكثر، ونقول جملة مركّبة، أي تتشكّل من جملتين، وأيضا مركّب صناعي، وهو المجمع الذي يضمّ عدّة صناعات، ومركّب رياضي، ونقصد به مجمّع رياضي، متكوّن من عدّة ألعاب رياضية في مكان واحد.

فالمكان المركّب، هو الأمكنة التي لا يكون وجودها وحده كافيا، فتضمّ أو تجمع معها مكان آخر، لتعطي لنفسها معنى، وبذلك فهو "يحتوي نفسه ويحتوي مكان آخر، غالبا ما يكون لوحة أو عدّة لوحات"[1]، ومن بين الأماكن المركّبة في الرّواية، نجد: غرفة الأستاذ؛ حيث يصفها (عثمان) بطل الرّواية، فيقول: "لم يكن الأستاذ قد تزوّج بعد، اتّخذ لنفسه غرفة... الغرفة ثلاثة أرباعها كتب وفي الرّبع الأخير المتبقّي كان يضه سجادة حمراء، بقربها مكتب صغير وقلم وأوراق، وبجانبها سرير في زاوية صغيرة".[2]

فنلاحظ أنّ غرفة الأستاذ لم تكتف بأبعادها الهندسية فقط، بل ضمّت بجانبها مكانا للنّوم وهو السّرير، ومكانا للعمل وهو المكتب، ومكانا آخر لترتيب الكتب، فشكّلت من هذه الأشياء مكانا مركّبا.

[1]- شاكر النّابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية، دار فارس للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط 01، 1994م، ص 19.

[2]- الرّواية، ص 48.

ومن خلال ما سبق، فإنّ جمالية المكان لا تتجسّد في مجرّد أبعاده الهندسية، أو التّسمية التي تطلق عليه، وإنّما تتجسّد بعلاقتها الفنية المرتبطة مع الشّخصيات، وأحداث الرّواية وتطوّر وقائعها، فتحدث هذه الوظائف نوعا من التّكامل والانسجام بينها وبين تقنيات السّرد الرّوائية.

الفصل الثّالث:

بنية الشّخصية في رواية "ابن القرية"

تمهيد:

تعتبر الشّخصية أساس كلّ حكي، فهي عماد الرّواية والرّكيزة الأساسية التي تقوم عليها، لأنّها المحور الذي تدور حوله الأحداث، وتبقى أشدّ عناصر العمل الأدبي غموضا، إذ يرى بعض منظّري علم السّرد أنّ لها أكثر من وظيفة تركيبية، وبمعنى أدقّ، فإنّه يمكن اعتبار الشّخصية مجموعة الأوصاف والخصائص التي تتّسم بها أثناء عملية السّرد، فالشّخصية عند القدماء هي التّشخص الفردي، أي أنّ الكلّ منفرد بذاته، وعند المحدثين جملة من الخصائص الجسمية، والوجدانية، والنّزوعية، والعقلية التي تحدّد هويّة الفرد وتميّزه عن غيره.

وللشّخصية عند علماء النّفس جانبين، أحدهما ذاتي، هو الذي يعبّر عن الفرد بقوله: (أنا) مشيرا بذلك إلى حياته العقلية، والعاطفية، والإدراكية، وكلّ ما يخصّ ويتعلّق بشخصه، وآخر موضوعي يتألّف من مجموع ردود الفعل النّفسية والاجتماعية التي يواجه بها الفرد بيئته التي يعيش فيها ويكيّف نفسه وفق طبيعتها.

والشّخصية الأساسية عند علماء الاجتماع الأمريكيين ولاسيما عند كاردين(A. Kardiner) ، هي تشكّل نفسي خاصّ بأفراد مجتمع معيّن، يتجلّى في نمط من الحياة ينسج وفقه الأفراد سلوكهم.[1]

أمّا في الرّواية وعلى حدّ تعبير "رولان بارت" "ما هي سوى كائن من ورق، ذلك لأنّها شخصية تمتزج –في وصفها– بالخيال الفنّي للرّوائي (الكاتب)، وبمخزونه الثّقافي الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها".[2]

فالكاتب له حرية تشكيل شخصياته الرّوائية وتقديمها بالصّورة التي يرغب بها هو، لأنّها من اختراعه ونسج خياله، فيتعذّر علينا في بعض الأحيان أن نطابقها مع الشّخصيات الموجودة في الواقع الإنساني المحاط بنا.

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م، ج 01، باب الشّين.

[2]– آمنة يوسف، م. س، ص 34.

المبحث الأوّل: تصنيف الشّخصيات

المطلب الأوّل: مفاهيم

يصف الكاتب شخصياته الرّوائية وصفا خارجيّا، ويشرح حالاتها الباطنية، والنّفسية والذّهنية (العصبية)، ويقدّم لنا الصّفات والخصائص التي تميّزها وتجعلها منفردة بذاتها عن غيرها، "فالشّخصية الرّوائية مثلها مثل الشّخصية في السّنيما أو المسرح، غير منفكّة عن العالم الخيالي المنتمية له: إنسان وأشياء، ولا يمكن أن توجد في أذهاننا كجزيرة معزولة".[1]

فهي لم تتشكّل من العدم، بل تدخل في تكوينها كلّ ما يحيط بها من إنسان وحيوان وأشياء ومواقف اجتماعية عاشها الكاتب، وأخرى نفسية أثّرت في نفسه، دفعت –الرّوائي– إلى التّعبير عنها وتجسيدها على الورق، وتقديمها للمتلقّي في حالة اكتمال لا في حالة التّكوّن والتّخلّق المشوّشة الموجودة في عقل الملقي.

هذا ما يجعلنا نصنّف الشّخصيات في الرّواية إلى أربعة أصناف، وذلك حسب وظيفتها في تطوير وتنمية السّرد والمساهمة في بناء الحبكة، فهي عبارة عن شبكة من العلاقات تشكّل المكوّن الأساسي في الخطاب الرّوائي المتخيّل، وهي كما يلي:

- الشّخصيات الرّئيسية.
- الشّخصيات الثّانوية.
- الشّخصيات الاستذكارية.
- الشّخصيات الملحقة.

[1]– محمّد معتصم، م. س، ص 120.

1/ الشّخصية الرّئيسية:

يُعنى بالشّخصية الرّئيسية أنّها شخصية مركزية، ونواة الرّواية التي تتولّد عنها أحداث الحكاية، سواء كانت هذه الحكاية كبيرة أم صغيرة، واعتبرت كذلك شخصية محورية لأنّها تقوم بدور جوهري مميّز، إذ تحيط بها "مجموعة من الشّخصيات الرّوائية الأخرى وترتبط بها وتدور في فلكها، وهي بذلك تشكّل عالما مستقلّا بذاته، له محكي خاصّ به، وله أفعاله وأحداثه وشخوصه".[1]

ولقدّ حدد "هينكل" خصائص الشّخصيات الرّئيسية في ثلاثة عناصر هي:[2]

- مدى تعقيد التّشخيص: ويقصد بذلك أنّ الشّخصيات الرّئيسة تمثّل نماذج إنسانية معقّدة وليست نماذج بسيطة، وهذا التّعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ لها، لأنّها مختلفة عن باقي الشّخصيات.
- مدى الاهتمام الذي يستأثر به بعض الشّخصيات: حيث يخصّها الرّاوي دون غيرها من الشّخصيات بقدر من التّميّز، إذ يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوّقة، هذا التّفرّد يجعلها مركز اهتمام الشّخصيات الأخرى أيضا وليس السّارد فقط.
- مدى العمق الشّخصي الذي يبدو أنّ أحد الشّخصيات تجسّده: ويعني غموض الشّخصية الرّئيسية ما يجعلها محلّ اهتمام الشّخصيات الأخرى الموجودة في الرّواية، ذلك لأنّ جميع النّاس الذين يلفّهم الغموض، أو تشكّل حياتهم لغزا مبهما لنا، يستثيرون شغفنا وفضولنا.

2/ الشّخصية الثّانوية:

الشّخصية الثّانوية أو كما يطلق عليها الفاعلة أو المتفاعلة، مهمّة في نموّ السّرد ولها وظائف فعلية في بناء الحكاية، لكنّها لا تشكّل شبكة من العلاقات، أي ليست موسّعة ومحورية بالدّرجة

[1]- محمّد معتصم، م. س، ص 121.

[2]- ينظر: محمّد بوعزّة، تحليل النصّ السّردي تقنيات ومفاهيم، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 1431هـ/2010م، ص 56.

الكافية لتكون نواة –مثل الشّخصية الرّئيسية– لتجمع خيوط الحبكة في الرّواية، وبذلك قد تكون الشّخصية الثّانوية صديقا للشّخصية الرّئيسية، أو قد تكون إحدى الشّخصيات التي تظهر بين الحين والآخر في المشاهد، وقد تقوم بدور مساعد للبطل أو معيق له.

ومنه، يتبيّن لنا أنّ الشّخصية الفاعلة تنجز مهاما داخل الحكاية، لكنّها لا تتميّز بتلك الإحاطة والشّمولية التي تختصّ بها الشّخصية المحورية، لأنّها بصفة عامّة أقلّ تعقيد وعمق منها –أي من الشّخصية المركزية–، وبذلك فهي قابلة للتّطوّر والنّموّ وحتّى التّغيّر، وغيابها لا يؤثّر في العمل الأدبي، لأنّه يمكن الاستغناء عنها أو استبدالها بشخصية أخرى.[1]

3/ الشّخصية الاستذكارية:

تساهم الشّخصيات الاستذكارية في تذكّر الماضي، وتعيد رواية وسرد وقائع جرت في القديم، وتأكّد أحداثها من خلال الحكاية، "فهذه الشّخصيات تقوم داخل الملفوظ، بنسج شبكة من التّداعيات والتّذكير بأجزاء ملفوظيه من أحجام متفاوتة (جزء من الجملة، كلمة، فقرة)، ووظيفتها من طبيعة تنظيمية وترابطية بالأساس، إنّها علامات تنشّط ذاكرة القارئ، أو هي الأداة التي من خلالها يمتلك الخطاب ذاكرة، تتحوّل إلى مرجعية داخلية لا يمكن فهم الأحداث دون استحضار هذه الذّاكرة".[2]

ويكمن الهدف من وراء توظيف هذا النّوع من الشّخصيات في العمل الأدبي، هو رغبة الكاتب في العودة بالقارئ أو المتلقّي إلى الماضي، والكشف عن حقائق مجهولة لم يتمّ ذكرها من قبل أو الإفصاح عنها في الرّواية، وربط أجزاء العمل السّردي ببعضه البعض.

---

[1]– ينظر: محمّد معتصم، م. س، ص 121–123.

[2]– فليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتّاح كليطو، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريا، ط 01، 2013م، ص 15.

4/ الشّخصيات الملحقة:

الشّخصية الملحقة هي الشّخصية الرّوائية التي لا يمكنها التّطوّر في حدود العمل الأدبي المقترح، وبسبب هذه المحدودية تصبح شخصية غير قابلة للنّموّ في أحداث الرّواية، أي أنّ هذه الصّفة قادرة على تجميدها، وتحويلها إلى مجرّد صوت، وعلامة ذكرى، أو مرحلة، أو موقف منتهي، لم يعد لوجوده أهمية في الرّواية، فهي شخصية روائية لا تحمل في العمل الرّوائي أيّ بعد وظيفي، أو أفق للتّطوّر.[1]

المطلب الثّاني: دور الشّخصيات في البناء السّردي

تعتبر الشّخصية مكوّنا هامّا من مكوّنات الحكاية، إذ لا يمكن أن تنشأ هذه الأخيرة دون شخصيات تقوم بالحدث، أو يقوم عليها الحدث، فهي الفواعل التي يتحوّل عن طريقها الحدث من بنيته المتخيّلة إلى حقيقة مجسّدة، لهذا فإنّنا نجد في كلّ عمل روائي ستّة عوامل تسيّر الحكي هي: "المرسل، المرسل إليه، الذّات، الموضوع، المساعد، المعارض، أمّا عدد الممثّلين فلا حدود له".[2]

على هذا الأساس فإنّه ينظر إلى النصّ الحكائي وفق الأدوار التي تقوم بها الشّخصيات الموجودة فيه، والتي من خلالها تتبيّن قضيّة السّرد "فعن طريق هذه الأدوار ينشأ المعنى الكلّي للنصّ".[3]

كما أنّ وظيفة الشّخصية تتداخل مع كلّ عناصر الحكاية الأخرى، لأنّها تقدّم للمتلقّي الفضاء الزّمكاني الذي تقع فيه الأحداث التي تتطوّر من خلالها.

ممّا لاشكّ فيه أنّ عنصر الشّخصية يقوم بأدوار عديدة في بناء أحداث الأعمال السّردية وتحديد طرق عرضها، ومواقف أصحابها، ومن خلال هذه المواقف يمكن أن تتّضح أفكار الرّوائي أو السّارد الذي يخلق هذه الشّخصيات، إلّا أنّ الرّوائي ليس صانعا للشّخصية بشكل مطلق، إذ لا

[1]- ينظر: محمّد معتصم، م. س، ص 123.

[2]- حميد لحمداني، م. س، ص 52.

[3]- المرجع نفسه، ص 52.

تخضع صفاتها وأفعالها تحت تصرّفه، فبمجرّد ما يكشف عنها بداية العمل السّردي، فهي تستقلّ عن الكاتب بشكل تجريدي، وتسلك سلوكا ذاتيّا بناء على خلفيتها النّفسية والاجتماعية والفكرية.

فبعد أن كانت مسلوبة الإرادة لحظة ولادتها، فإنها تنحو رويدا رويدا نحو الاستقلال، وترسم مساراتها الخاصّة ولو كانت ضدّ (أنا) الكاتب، وذلك مراعاة للنّسق السّردي، وتجاوبا مع منطلقاتها المحدّدة سلفا.[1]

عرفت رواية "ابن القرية" عددا غير كبير في الشّخصيات بمختلف أنماطها، وبدرجات حضورها المتباين، تبلغ في مجموعها أربعة وعشرون شخصية، بالإضافة إلى شخصيات ملحقة أخرى.

شخصية رئيسية واحدة هي شخصية (عثمان)، وخمس شخصيات ثانوية استقى الكاتب أسماءها من أسماء الأنبياء والرّسل وأولياء الله الصّالحين ومن التّاريخ، وشخصيات ملحقة واستذكاريه، تتوزّع بين أقرباء (عثمان) وجيرانه، وأصدقائه، ومعلّميه.

لم تكن كلّ الشّخصيات في الرّواية فاعلة في مجريات الأحداث بالنصّ الرّوائي، وإنّما غالبيتها مجرّد عناصر تكميلية في اللّوحات الفنية التي رسمها الكاتب أثناء سرده وقائع الحكاية وانتقاله بين الأحياء، والأزقّة، والمساجد، والمدن.

يمكن تقسيم الشّخصيات الحاضرة بالمتن السّردي لولد الصديق ميلود إلى:

- شخصيات صانعة للحدث: وهي الشّخصيات الرئيسية.
- شخصيات يصنعها الحدث: وهي الشّخصيات الثّانوية.

فعثمان شخصية صانعة للحدث في الرّواية، أمّا باقي الشّخصيات الموظّفة في المتن السّردي أمثال: الحاج مُحَمَّد الصّالح، العمّ جلّول، فانّة وغيرهم، فهي شخصيات ثانوية يصنعها الحدث وترد في سياق الرّواية، تأخذ مقامها حسب درجة تواترها داخل العمل الرّوائي.

[1]- ينظر: فاطمة الزّهراء شرّادي، الشّخصية في النصّ السّردي، 23 سبتمبر 2008م، الموقع الإلكتروني: alwatanvoice.com

ولقد ركّز "ولد الصدّيق" على شخصية (عثمان)، لأنّها موضوع الرّواية، وصورة البطل عند الرّوائي، فقام بوصفها وإعطائها إمكانية التّحكّم في سير وقائع الحكاية، كونه كان يروي تفاصيل حياته منذ الصّغر حتّى كبره، وما مرّ به من نجاحات وصعوبات وغيرها من الأحداث، فكانت هذه الشّخصية هي الفاعلة بالدّرجة الأولى في سرد ونموّ وتطوّر الأحداث، بصفتها الشّخصية المركزية والنّواة التي تنطلق منها الرّواية وتنتهي عندها، عكس الشّخصيات الأخرى الموجودة في الرّواية، والتي لم تساهم في تطوّر ونموّ أحداثها، بل كانت مجرّد عناصر تكميلية في المشاهد واللّوحات الفنية التي رسمها الرّوائي، فهي عبارة عن حلقة وصل ساعدت في سير حياة (عثمان).

خلاصة القول، إنّ حضور الشّخصية ودورها في البناء السّردي، لا يسير وفق الرّؤى التّقليدية، التي تجعل من الشّخصية الرّوائية كلّ شيء فيها وأساسها، ويعود السّبب في ذلك تركيز الرّوائي على شخصية (عثمان) المحورية، والتي كانت العامل الأساسي والأوّل في سير الأحداث وتطوّر السّرد ونموّه، لأنّها موضوع الحكاية، بخلاف الشّخصيات الأخرى القليلة الموجودة في الرّواية، والتي لم تؤثّر في حركة السّرد، بل كمّلت لوحته الظّاهرة فقط، إذ جاء ظهور بعض الشّخصيات في مشهد واحد ولم يتكرّر ذكرها بعد ذلك، إذن فهي لم تساهم في تطوّر البناء السّردي.

المبحث الثّاني: تقديم شخصيات الرّواية.

1/ الشّخصية الرّئيسية: (عثمان)

تعدّ شخصية (عثمان) الشّخصية الرّئيسية والمحورية في رواية "ابن القرية"، إذ ذكر لنا الكاتب مراحل متعدّدة من حياته، بدأها من:

أ/ مرحلة الطّفولة:

جسّد لنا الرّاوي جزءا من طفولة (عثمان)؛ حيث يقول: "عثمان ذو الاثنتي عشر ربيعا، رغم مرافقته لأخيه الأكبر موسى قصد القيام بمقتضيات الأرض... لا يبدو أنّه يكترث، فشغف حفظ القرآن والتّعلّم وملازمة الكتّاب، أمداه بروح توّاقة للتّفرّغ أكثر".[1]

(عثمان) الذي عاش فقيرا في طفولته، تعوّد على اللّعب مع رفقائه حافي القدمين، وكان يصنع معهم الألعاب من أشياء بسيطة، تميّز عنهم، فهو لم يكن يمضي معظم وقته في اللّهو والمرح وفي البساتين مثل أولاد قريته، بل درس في الكتاتيب، فحفظ القرآن وختمه، وهو لم يتجاوز سنّ الخامسة عشر بعد، وأخذ منها تعاليم الدّين الإسلامي التي جعلت منه مثالا للفتى البار، المجتهد في طلب العلم، ذو الأخلاق الطيّبة الذي يفتخر به أهله.

ب/ مرحلة الثّانوية:

(عثمان) المنحدر من قرية صحراوية، رغم انتقاله إلى الثّانوية إلّا أنّه ظلّ متمسّكا بعاداته وتقاليده التي ربّاه عليها والده في الصّغر، والتي أخدها من شيخه في الكتاتيب، زاد اجتهاده في طلب العلم وتفرّد عن جيله وأقرانه وسبقهم بفكره وعقله، فكان ملتزما بدينه؛ حيث اهتمّ بحضور الدّروس التي كانت تقام في المسجد، وشغف بمطالعة الكتب وقراءة الشّعر، وعمل على تطوير موهبته فيهما، كما حفظ أقوال العلماء والفلاسفة، وأصبح يشارك في الأعمال الثّقافية التي كانت تقام في الثّانوية، فكانت نتيجة اجتهاده هذا هي تتويجه بلقب أوّل شخص في القرية ينجح في شهادة البكالوريا وينتقل للجامعة ليصبح فخرا لهم.

[1]- الرّواية، ص 09.

ج/ مرحلة الجامعة:

في هذه الفترة أصبح (عثمان) طالبا جامعيّا مسؤولا عن نفسه، ومستقلّا بذاته، إذ غيّر مكان إقامته وارتحل إلى جامعة وهران، أين تعرّف على أناس جدد، انخرط في جمعية اتّحاد الطّلبة، ثمّ في جمعية الإبراهيمي؛ حيث وجد متنفّسه من أجل البحث العلمي والثّقافي وتطوير مواهبه الأدبية والثّقافية، فأصبح عضوا فعّالا فيها، يحضر دوراتها ويشارك في ندواتها، فاختارها لنفسه طريقا، لأنّها احتوته بأفكاره ومبادئه التي اكتسبها من قبل.

نجح (عثمان) وتخرّج من الجامعة وتزوّج من زميلته (حورية)، وانتقل إلى الحياة العملية ليواصل السّير على درب التّفوّق، وبهذا كانت شخصية (عثمان) مثالا عن الإنسان المثقّف الطّموح، الذي لم يستسلم لعقبات الحياة، وقساوة موطنه الصّحراء وفقره، بل عمل واجتهد حتّى وصل إلى مراده، كلّ هذا بفضل قوّة إيمانه ومتانة تكوينه، فارتقى نحو العلا ومثّل قريته في محافل متعدّدة وأوطان مختلفة، ليصبح فخرا لها.

2/ الشّخصيات الثّانوية:

جاءت في رواية "ابن القرية" شخصيات ثانوية، سنستعرضها فيما يلي:

أ/ الحاج محمّد الصّالح:

يأتي في المقام الأوّل من حيث أهميته، إذ تواتر ذكر اسمه في الرّواية، و (الحاج مُحَمَّد الصّالح) هو والد (عثمان)، عبّرت شخصيته عن الرّجل الصّحراوي الأصيل المتمسّك بعاداته وتقاليده، والمرتبط بقريته، والمتعلّق بأبنائه الذين يعتبرهم فخرا له.

يظهر في شخصيته جانبان هما:

- **الجانب الأوّل:** يتميّز بالصّرامة، وقساوة الطّبع، وجفاء الخاطر، وسرعة الغضب، ذو البنية الجسدية الغليظة.

➢ **الجانب الثّاني**: يبيّن لنا (الحاج صالح) صاحب البستان، الإنسان الكريم الذي يرحّب بالضّيوف، ويبدي تعاطفه مع المظلومين، ويقدّم المساعدة لهم، المقدام في عمل الخير والمساهم في نزع فتيل الخصومات، والإصلاح بين النّاس.

مات والد (عثمان) وترك في نفوس عائلته وأصحاب قريته حزنا كبيرا، كونه كان يحظى بحبّ الجميع واحترامهم.

ب/ موسى:

الولد البكر للحاج (مُحَمَّد صالح) والأخ الأكبر لعثمان، لم يهتم بالدّراسة مثل أخيه، بل سار على درب والده، فاهتمّ بالبستان والأرض والزّرع، وجعل منها مصدر كسب قوته.

متزوّج وله ابن اسمه (حمّو)، كان موسى خير سند لإخوته، مهتمّ بهم ويرعاهم وله كلمة عليهم، يكنّون له الاحترام ويخافون منه مثل ما يفعلون مع والدهم، ورث من أبيه قساوة الطّبع ظاهريّا، إلّا أنّ داخله طيّب، وليّن في معاملته مع الحيوانات ولا يخفي شفقته عليها.

أبدع (موسى) في أشغال البستان، فجاءت شخصيته لتمثّل الرّجل المثابر المقدام المهتمّ لأمر عائلته، والمحافظ على عادات وتقاليد أجداده.

ج/ فانّة:

والدة (عثمان)، تمثّل المرأة الصّحراوية الحكيمة والرّزينة، معروفة بين أهل القرية بحسن سيرتها، وبمكانتها المرموقة؛ حيث تستشار وتشرف على مقادير الطّعام في حفلات الزّفاف، وتقصدها المقبلات على الزّواج للظّفر بنصائحها القيّمة والثّمينة.

تهتمّ بأولادها كثيرا وبمستقبلهم، وتعتبر الوسيط بينهم وبين والدهم، فهي الأمّ الحنون، وركيزة البيت، عاشرت جيلين.

توفّيت تاركة في نفس (عثمان) ألما رهيبا؛ حيث يقول عند سماع خبر وفاتها، وهو بعيد عنها: "وقفت على قبرها مستحضرا صورتها وابتسامتها الطّاهرة، لم أتحمّل... ولم أقدّر...بكاء ثمّ بكاء وعويل... نكست كلّ الريات... وتنازلت عن أمنياتي وآمالي، ولم يعد للحياة من قيمة".[1]

د/ الحاج أحمد:

(الحاج أحمد) هو شيخ الكتّاب، وهو من درّس (عثمان) وساهم في حفظه للقرآن، كان الشّيخ لا يتوقّف عن الثّناء على تلميذه ويفتخر به، ويعدّه قدوة بالنّسبة لزملائه.

اتّسم الشّيخ بالصّرامة والقسوة، كان له سوط يعاقب به المتخلّفين عن دروسه من التّلاميذ، ورغم حبّه لعثمان، لكنّه لم يميّزه عن غيره في العقاب، يقول: "يقف الشّيخ غاضبا مكفهرّ الوجه مقطب الحاجبين".[2]

كان شيخ الكتّاب خبيرا في تتبّع الأثر على الأتربة والرّمال، تكرّر ظهوره في الرّواية، لما له من فضل في تكوين شخصية (عثمان) والتّأثير فيه.

هـ/ العمّ جلّول:

(الحاج جلّول) هو عمّ (عثمان)، عرف بطيبة قلبه ولين لسانه وكلماته، وزّع حكما رائعة، فكان ينصح ويوجّه ويرشد، كان سيّدا في قومه بابتسامته وحكمته، يقول (عثمان): "تواصلت مع عمّي الرّجل الصّالح... وعلى عادة الصّالحين، كان كلامه دواء وشفاء، أغدقني بعظاته السّامقة ومصائر الصّابرين والمبتلين".[3]

[1]- الرّواية، ص 137.

[2]- الرّواية، ص 22.

[3]- الرّواية، ص 135.

فبعد وفاة (الحاج مُحَمَّد الصّالح) والد (عثمان)، أصبح العمّ (جلّول) هو الحضن الدّافئ والحنون الذي يضمّه، ويخفّف حزنه، ويأخذ منه النّصيحة.

العمّ (جلّول) رغم فقدانه لبصره ومرضه، إلّا أنّه ظلّ محافظا على صلاته في المسجد.

لم تكن هذه الشّخصيات الرّئيسة والثّانوية في الرّواية مختارة بطريقة اعتباطية، بل لكلّ منها مدلول تاريخي، فعثمان و موسى، هذه أسماء لأولياء الله الصّالحين، تمّ اختيارها من أجل تمثيل عبق التّاريخ الصّحراوي، وعاداته وتقاليده، وكذلك من أجل رسم الشّخصية الصّحراوية، والحاج (مُحَمَّد)، والعمّ (جلّول) اللّذان يرمزان للأب الصّحراوي وما يملكه من سلطة على أبنائه وأهل قريته، والأمّ (فانّة) التي ترمز للمرأة الصّحراوية الصّالحة الملتزمة.

3/ الشّخصيات الاستذكارية:

أ/ عبد الله ولمسعود:

(عبد الله ولمسعود) هو خال (عثمان)، ذكر في الرّواية مرّتين، كان أكثر وعيا، ترشّح لانتخابات البلدية أكثر من مرّة، من أجل تنمية قريته والعمل عليها، ظهر في الرّواية كسارد لأوضاع القرية المزرية، وما حدث لجارتهم، فيقول: "في العام الماضي توفّيت جارتنا بالمرض نفسه، ونظرا لقلّة اليد والسّاعد، لم يكن بوسعهم السّفر بعيدا، فنخر المرض جميع بدنها فماتت".[1]

هنا يذكر الخال (عبد الله) معاناة جارتهم وكيف ماتت بسبب نقص الإمكانيات وعدم توفّر المستشفيات والنّقل في قريتهم، وكيف خاف أن تلقى ابنته نفس مصير جارتهم.

[1]- الرّواية، ص 73.

ب/ السّائق:

هو شخصية لم يسمّيها الكاتب، وجاء ذكرها في مشهد واحد، ليسرد ما حدث للنّاس الذين ركبوا في الحافلة التي كانت قبله، فيقول: "حافلت الظّهيرة انقلبت... لقد فقد سائقها السّيطرة على المقود نتيجة الرّياح العاتية... قيل أنّ أغلب ركّابها ماتوا، فيما نقل الجرحى إلى المستشفى".[1]

إنّ الهدف من توظيف هذه الشّخصية في الرّواية، هو تبيان الوضعية المزرية التي تعاني منها القرية، وما هي عواقب هذا التّخلّف، وكيف يموت أهلها في حوادث المرور بسبب طريقها الوعرة والخطيرة، كونها تعاني الإهمال من طرف المسؤولين.

ج/ عمّي مسعود:

(عمّي مسعود) من أهل القرية، شيخ عجوز وفقير، ذكر في الرّواية مرّة واحدة؛ حيث التقى مع (عثمان) في الحافلة، وأخبره أنّه ابن (الحاج مُحَمَّد الصّالح)، هذا ما جعل (عمّي مسعود) يتحدّث عن أب (عثمان)، فقال: "أبوك عليه رحمة الله كانوا يحبّوه النّاس القرية، في حياته لم يسئ لأحد، مبسوط، ضحوك، متميّز، اجتماعي، يحبّ الخير".[2]

فيذكر هنا (عمّي مسعود) خصال (الحاج مُحَمَّد) الحميدة، وقدره بين أهل القرية، ومكانته المرموقة، فرغم موته، إلّا أنّهم ما زالوا يتذكّرونه بصفاته الجميلة.

[1]- الرّواية، ص 78.

[2]- الرّواية، ص 82.

4/ الشّخصيات الملحقة:

أ/ عمر:

هو أخ (عثمان) الأصغر، كان (عمر) مرتبط به ويعتبره قدوة له؛ حيث كان يذهب معه للكتّاب وللّعب، يقول السّارد: "يصطفّ الشّباب الحفظة الأربعة والعشرون جميعهم في ساحة الكتّاب القريبة من المسجد (الجامع) يتقدّمهم (عثمان)، وأخوه (عمر) الذي يساعده في حمل حقيبته".[1]

يظهر لنا الكاتب هنا تعلّق (عمر) بأخيه (عثمان)، واقتدائه به، فجاءت هذه الشّخصية ملحقة، لم تؤثّر في أحداث وسير الرّواية، بل أراد الكاتب التّعبير من خلالها والتّأكيد على طيب أخلاق (عثمان).

ب/ أخواته:

وهنّ (عائشة) و (خديجة) و (كريمة)، جاء ذكرهم في الرّواية مرّة واحدة؛ حيث يقول السّارد: "تحضّ الأمّ (فانّة) بناتها (عائشة) و (خديجة) و (كريمة) على الإسراع في تحضير لوازم المرق ومكملات الطّعام".[2]

ذكرهم الكاتب بمناسبة حفل الختم الذي نظّم من أجل (عثمان)، فجاء ظهورهم سريعا، بين الرّاوي من خلاله مساعدتهنّ لوالدتهنّ فقط.

ج/ أحمد:

هو صديق (عثمان) في مرحلة الثّانوية، وصفه الكاتب بشبيه (عثمان)، ليس في الشّكل، وإنّما من حيث التّفكير والطّباع، والميول العلمي، وكأنّ الأقدار جمعتهم، فيقول السّارد: "ها هو ذا (أحمد) شبيه (عثمان) في كلّ شيء وكأنّ الأقدار جمعتهم ليكونا هكذا... يخرج من البيت، يقترب شيئا

[1]- الرّواية، ص 31.

[2]- الرّواية، ص 30.

فشيئا من (عثمان) الذي يبدو غاصّا بعقله وفكره في كنّاشته... ما إن يصل إليه حتّى يبتسما ويتعانقا معانقة الأمّ لولدها، معانقة القائد لشبل من جنوده، معانقة الشّيخ لتلميذه... عناق شديد، تغمرهما فرحة عارمة عالية... وكأنّهما يحمدان الله أن أحياهما ليلتقيا مجدّدا".[1]

جاء ذكر شخصية (أحمد) في الرّواية في فترة قصيرة، فلم يأخذ حيّزا كبيرا منها، بيّن الكاتب في تلك الفقرة قوّة صداقتهما وارتباطهما، وتميّزهم عن غيرهم.

د/ جمال منصور:

دكتور في جامعة وهران، وينحدر من ضواحي مدينة غرداية، التقى به (عثمان) أثناء رحلته إلى وهران، فوصفه قائلا: "... ربطة عنق حمراء، قميص أبيض وبدلة سوداء وتسريحة شعر مستوية ومحفظة كبيرة فارهة، كلّ هذا يدلّ أنّه مثقّف ومتعلّم".[2]

جاءت هذه الشّخصية لتعرّف (عثمان) على الجامعة، وتحمّسه لها، ولتطفي القليل من شوقه إليها، فكانت فرحته كبيرة، لأنّه وجد من يقدّم له المعلومات التي كان يبحث عنها، ليزيح الغموض حول الجامعة.

هـ/ حورية:

عضوة في جمعية الإبراهيمي، ذات شخصية قويّة وجمال أخّاد، هكذا وصفها (عثمان) الذي أحبّها من أول مرّة رآها فيها، يقول السّارد: "وقع (عثمان) في حبّ الفتاة...كانت تلك نظرته الأولى ومشاهدته البكر... ملاك دخلت إلى قلبه من دون استئذان ومن دون طرق أبواب..."[3]، صاحبة سيرة حسنة، والرّوح الطيّبة، البسيطة الملتزمة بدينها والمتمسّكة به.

---

[1]- الرّواية، ص 38.

[2]- الرّواية، ص 91.

[3]- الرّواية، ص 123.

أصبحت زوجة (عثمان)، جاء ذكرها في آخر الرّواية؛ حيث أسّست مع (عثمان) بيتا عائليّا، وأكملا نصف دينهما.

و/ شخصيات أخرى:

نذكر منها (سالم) زوج (خديجة) أخت عثمان، ومؤذّن الجامع (علي)، وجيرانهم (الحاج قدّور)، و (باعمي)، و (باقادة)، بالإضافة إلى زملائه في الجامعة (المسعودي) و (أحمد) رفيقه في الغرفة، و (منير) و (عبد الله) و (عبد الرّحيم) وغيرهم من الشّخصيات الملحقة الأخرى التي كان مرورها في الرّواية عابرا، إذ تمّ ذكرها مرّة واحدة، فكانت تساهم في نموّ السّرد، والرّبط بين أحداثه، والانتقالات التي وقعت فيه، من أجل بناء حبكة روائية محكمة.

الخاتمة

تعدّ الرّواية نوعا من أنواع الفنون الأدبية، وهي عبارة عن عمل قصصي طويل، يروي الكاتب من خلالها أحداثا قد تكون واقعية أو متخيّلة.

عرف هذا الفنّ الأدبي تطوّرا ملحوظا ومستمرّا منذ ظهوره، وذلك لأنّه الوعاء الذي احتوى أفكار الكتّاب، نظرا لشساعة فضائه، واستيعابه للعناصر الأساسية التي يبنى عليها العمل الأدبي، فعكس هذا الفنّ نظرة الرّوائي للحياة، وأنشأ صلة بينه وبين المتلقّي.

اهتمّت رواية "ابن القرية" بدراسة الواقع الصّحراوي، فحفلت بالعديد من الأبعاد والدّلالات المختلفة، منها الثّقافية، والأخلاقية، والدّينية، والعادات والتّقاليد، فاستحقّت بذلك الدّراسة من كلّ الجوانب.

وقد توصّلنا في ختام بحثنا البسيط حول ما يخصّ الزّمان، والمكان، والشّخصيات في هذه الرّواية إلى ما يلي:

1. استعمل الكاتب التّقنيات الزّمنية الاسترجاعية والاستباقية، لكنّها لم تكن بشكل مبالغ فيه، فالرّواية صوّرت أحداثها في قالب أدبي أشبه بالسّيرة الذّاتية، لأنّها سردت حياة (عثمان) منذ طفولته حتّى كبره.
2. تدور أحداث الرّواية معظمها في الصّحراء، في قرية بأدرار اسمها "الواحة الحمراء"، ثمّ ينتقل البطل إلى "وهران"، فيحدّد لنا الكاتب المكان الجغرافي الذي جاء يحمل الكثير من الدّلالات التّاريخية والاجتماعية والرّمزية.
3. حملت الشّخوص في الرّواية أسماء للأنبياء والرّسل، ولأولياء الله الصّالحين، أراد الكاتب من خلالها الإشارة الى ارتباط أهل القرية وتمسّكهم بالدّين، ولتمثّل الإنسان الصّحراوي الملتزم والمتخلّق والمثقّف، المرتبط بعاداته وتقاليده.
4. جسّدت شخصية (عثمان) الرّجل المثالي الذي يحتذى به.

وفي الأخير، نقول إنّ الرّواية اعتمدت في بنائها على عدّة محاور منها: الصّحراء التي كان لها تأثيرها الخاصّ والكبير على الشّخوص والفقر والنّجاح، لتبيّن لنا أنّ رغم كلّ الصّعوبات والحواجز، إلّا أنّ الرّغبة في الوصول إلى القمّة ليس بالأمر الصّعب، بل يحتاج منّا فقط العزيمة والتّمسّك بمبادئنا، والحفاظ على القيم التي نشأنا عليها.

ملحق البحث

التعريف بالكاتب

ولد "الصدّيق ميلود "، من مواليد 03 فيفري 1981م، بدائرة تيميمون ولاية أدرار، أستاذ التّعليم العالي، يدرّس حاليّا بجامعة الدّكتور مولاي طاهر سعيدة، بكلية الحقوق والعلوم السّياسية، قسم العلوم السّياسية، ليس متخصّص في الأدب، لكنّه محبّ وعاشق له.

آخر شهادة علمية تحصّل عليها مصافّ الأستاذية (بروفيسور) في 08 ديسمبر 2020م.

له مساهمات أدبية في جريدة الشّعب الجزائرية (يوم الاحد 02 سبتمبر 2018م) عنوانها: "ابن القرية ميس نتموحت"، رواية تتقاطع فيها المشاهد الأنثروبولوجية والسّيسيولوجية والسّيكولوجية في نصوص القاصّ ابن الواحة الحمراء "ولد الصدّيق ميلود"".[112]

كما شارك في العديد من الحصص والبرامج الإذاعية والتّلفزيونية منها: إذاعة أدرار والبيض وسعيدة، بالإضافة إلى القنوات الجزائرية: التّلفزة الجزائرية العمومية الثّالثة، والشّروق، والنّهار وغيرهم.

من أعماله الأدبية المنشورة: رواية "ابن القرية ميس نتموحت" الصّادرة عن دار المثقّف، سنة 2018م، ورواية "نساء يرفضن الرّحيل" عن دار ميم للنّشر والتّوزيع سنة 2020م.

بالإضافة إلى كتب في مجال تخصّصه العلوم السّياسية نذكر منها: "الانقسام الاجتماعي وأثره في بنية الأحزاب السّياسية" سنة 2013م، و "الاغتراب السّياسي في الوسط الطلّابي" سنة 2014م، و "مفاهيم أوّلية في تحليل السّياسة الخارجية" سنة 2016م، كلّ هذه الكتب صادرة عن دار الكتاب الأكاديمي عمّان.

[112]– في حديث خاص مع الأستاذ ولد الصدّيق ميلود، يوم 21 مارس 2021م، السّاعة 19.00 مساء على تطبيق المسنجر.

تلخيص الرّواية:

"ابن القرية" هي أوّل تجربة لولد الصدّيق ميلود في مجال الأدب والرّواية، نفّس من خلالها عن أفكاره والرّسالة التي كان يرغب في توصيلها.

جاءت الرّواية لتبرز الكثير من المعالم الصّحراوية المتعلّقة بقساوة البيئة، وبالعادات والتّقاليد، في وعاء أدبي قريب في شكله من السّيرة الذّاتية.

تدور أحداث الرّواية حول شخصية (عثمان) -بطل القصّة- الذي نشأ وترعرع في بيئة صحراوية تفتقد لأدنى مقوّمات العيش.

تبدأ قصّته منذ أن كان في الكتاتيب القرآنية، يتعلّم ويحفظ القران، (عثمان) الذي تأثّر بشيخه في الزّوايا وبمعلّميه في الابتدائية، كان مثالا للفتى البار بوالديه، ذو الأخلاق الحميدة والطيّبة، بنى لنفسه شخصية قويّة علمية، لم تقهرها الظّروف المادّية والطّبيعية القاسية، فحقّق نجاحات كثيرة رغم كلّ العقبات والنّكسات التي اعترضت طريقه، محاولة تثبيط عزيمته وإرادته، إلّا أنّ مثانة تكوينه وقوّة إيمانه، ساعدتاه في مواصلة تحقيق أحلامه وطموحاته، ليصبح فخرا لأهله وأصحاب قريته.

وبهذا حكت رواية "ابن القرية" عن واقع صحراوي قاسي، رغم جمال أماكنه وقداسة آثاره، في ثمانية أبواب قسّمها "ولد الصدّيق" على النّحو التّالي:

- من الكتّاب ... كان البدئ.
- الثّانوية ... وفرحة التّخرّج.
- يوم أسود في القرية.
- العمّ جلّول.
- الرّحلة.
- أوّل عهد بالجامعة مبيت في مخفر الشّرطة.
- من أروقة الجمعية يولد أزلي.
- فاجعة اليتمان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أوّلا/ الكتب والمعاجم

1. آمنة يوسف، تقنيات السّرد في النّظرية والتّطبيق، دار فارس للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط 02، 2015م.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.
3. جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تح: مُحَمَّد معتصم، المجلس الأعلى للثّقافة، المشروع القومي للتّرجمة، ط 02، 1997م.
4. الجيلالي الغرابي، البنية السّردية قراءة في 12 قصّة مهاجرة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 01، 2016م.
5. حسين البحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1990م.
6. حميد لحمداني، بنية النصّ السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط 04، 2015م.
7. حيدر لازم مطلك، الزّمان والمكان في شعر أبي الطيّب المتنبّي، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط 01، 1431هـ/2010م.
8. ربيب كتيبة، جماليات الزّمان والمكان في شعر عزّ الدّين مناصرة، الخليل للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط 01، 2015م.
9. شاكر النّابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية، دار فارس للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط 01، 1994م.
10. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1990م.

11. فليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتّاح كليطو، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريا، ط 01، 2013م.
12. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1429هـ/2008م.
13. مُحَمَّد بوعزّة، تحليل النصّ السّردي تقنيات ومفاهيم، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 1431هـ/2010م.
14. مُحَمَّد معتصم، بنية السّرد العربي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرّباط، ط 01، 2010م.
15. مرشد الطلّاب عربي عربي، دار ابن رشد، د ط، 2005م.
16. ميساء سليمان الإبراهيم، البنية السّردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة العامّة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، مكتبة الأسد، د ط، 2011م.
17. ولد الصدّيق ميلود، رواية "ابن القرية"، دار المثقّف، ط 02، 2018م.

ثانيا/ الرّسائل الجامعية:

1. عبد الله توام، إشراف: هواري بلقاسم، دلالات الفضاء الرّوائي في ظلّ معالم السّيميائية رواية "الأنا... هنا أو شرق المتوسّط مرّة أخرى" لعبد الرّحمن منيف، أطروحة دكتوراه، تخصّص: سيميائيات وتحليل الخطاب، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة، وهران 1، 2015م/2016م.

ثالثا/ المواقع الإلكترونية:

1. أهمية المكان في النصّ الرّوائي، مجلّة نزوى https://www.nizwa.com
2. فاطمة الزّهراء شرّادي، الشّخصية في النصّ السّردي، 23 سبتمبر 2008م، الموقع الإلكتروني: alwatanvoice.com
3. في حديث خاص مع الأستاذ ولد الصدّيق ميلود، يوم 21 مارس 2021م، السّاعة 19.00 مساء على تطبيق المسنجر.

4. في مفهوم السّردية ومكوّناتها –ملحق خليجي ثقافي–، صحيفة الخليج، 20 مايو 2012م، بتصرّف. https://www.alkhaleej.ae

5. مُحَمَّد عبد الله القواسمة، الرّواية والمكان، موقع الدّستور، يوم 07 تشرين الأوّل، أكتوبر 2016م، addustour.com.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحة
بسملة	/
إهداء	/
شكر وتقدير	/
مقدّمة	أ
مدخل: مفهوم البنية السّردية	
1/ السّرد لغة	2
2/ السّرد اصطلاحا	2
الفصل الأوّل: بنية الزّمن في رواية "ابن القرية"	
المبحث الأوّل: المفارقات الزّمنية	7
المطلب الأوّل: السّرد الاستذكاري	9
المطلب الثّاني: السّرد الاستشرافي	12
المبحث الثّاني: الدّيمومة	15
المطلب الأوّل: الحذف	16
المطلب الثّاني: الخلاصة	17
المطلب الثّالث: الوقفة	18
المطلب الرّابع: المشهد	20
الفصل الثّاني: بنية المكان في رواية "ابن القرية"	
المبحث الأوّل: ماهية المكان وأهميته	23
المطلب الأوّل: ماهية المكان	23
المطلب الثّاني: أهمية المكان	25

المبحث الثّاني: تنوّع الأمكنة ووظائفها	30
المطلب الأوّل: أنواع الأمكنة	30
المطلب الثّاني: وظائف الأمكنة	37
الفصل الثّالث: بنية الشّخصية في رواية "ابن القرية"	
المبحث الأوّل: تصنيف الشّخصيات	43
المطلب الأوّل: مفاهيم	43
المطلب الثّاني: دور الشّخصيات في البناء السّردي	46
المبحث الثّاني: تقديم شخصيات الرّواية.	48
الخاتمة	59
ملحق البحث	62
قائمة المصادر والمراجع	65
فهرس الموضوعات	69

الملخّص:

يعالج هذا البحث أهمّ التّقنيات السّردية المتمثّلة في الزّمان والمكان والشّخصيات، والتي تعبّر عن أهمّ المحاور في هذه الرّواية، لما تحمله من دلالات ورمزية ترجمت الواقع الصحراوي وقساوته، وكيف كسّر (عثمان) الحواجز التي أعاقت طريقه، ليفتح لنفسه أبواب النّجاح، فأتت الرّواية في قالب فنّي جميل، واعتمدنا في الكشف عن حقائقها على المنهج التّحليلي.

الكلمات المفتاحية: البنية السّردية، الزّمكان، الشّخصيات، الرّواية.

Summary:

This paper deals with the most important narrative techniques represented in time, place and characters, and which expresses the most important themes in this novel, because of its connatations and symbolism, it translated reality the desert and its cruelty, and how did Othman blasphemy the barriers that obstructed his way to open for himself doors to success, So the novel came it in a beautiful artistic form, and we adopted it in revealing its facts on the curriculum analytical.

Keywords: Structure narrative, espace-temps, personnages, roman.

Résumé:

Cet exposé traite les techniques narratives représentées par : le temps, le lieux et les personnages et qui expliquent les thèmes les plus importants de ce roman, vu ses indications sur la réalité du désert et la vie difficile là-bas, et aussi comment othman a pu casser les obstacles obstruant son chemin pour qu'il arrive à réussir. Ce roman a pris un très joli aspect artistique, et nous avons adopté la méthodologie analytique pour dévoiler toutes faits.

Les mots clés: Structure narrative, espace-temps, personnages, roman.